

الدكتور عبد الحليم منتصر

الوراثة والجنس

الطبعة الثانية

اقرأ
٨٤
دار المعارف بمصر

الوراثة والجينس

تمهيد

من الكلمات الماثورة قولهم « من شابه أباه فما ظلم » ،
وقولهم « الولد سر أبيه » ويأبى العلم إلا أن يحقق هذه الأمثال
على نحو قل أن يؤتى لغيرها ؛ فلهذا التشابه بين الابن وأبيه ،
قواعد وقوانين ، لا ندحة عنها ، بل إنه ليجرى وفق قوانين
ثابتة منذ آدم أبى البشر إلى أصغر طفل يعيش فى عصرنا
الحاضر .

فكل فرد يعيش حقبة من الزمان ثم يقضى ... يمضى إلى
موعد لا مرد له منه ، إلا أنه غالباً ما يترك عقبا يصل السلسلة
بينه وبين الأجيال التى تقدمته ، كما يصل بينه وبين
الأجيال الآتية من بعده .. كالشعلة يحملها العدا ، ولا يزال
يعدو بها إلى أن يلتقى بها إلى عدا آخر .. وكذلك هى
الحياة تنتقل من جيل إلى آخر على مر الحقب . فالكائنات
الحية التى تعمر الأرض الآن ، سواء كانت حيوانية أو نباتية ،

إنما درجت وتسلسلت عن أشباه ونظائر ، كانت تعمر الأرض
مذ كانت الأرض صالحة لنمو هذه الكائنات .

ولعلنا إذا تتبعنا الأطوار التي يمر فيها الإنسان ، مذ كان
جنيناً في بطن أمه ، ثم يولد رضيعاً ، ثم إذا هو فطيم ، ثم
طفلاً فصيحاً ، ثم ولداً ، ثم شاباً يافعاً ، ثم رجلاً فكهلاً إلى
أن يصبح شيخاً مسناً ، إنما نلاحظ أنه يحمل طابعاً ثابتاً
في كل هذه الأدوار ، ويحتفظ بتركيبه الجسماني ، وصفاته
الأصلية على مر السنين . على أننا إذا تتبعنا أطواره الجنينية
الأولى ، حين كان علقه ، ثم مضغة غير مخلقة ، فإنه لا شك
يختلف عن الصور التي نشاهدها فيما بعد . فقد كان عندئذ
عبارة عن جسم كروي يتكون من بضع طبقات من الخلايا .
وكانت هذه الطبقات قبلاً إنما هي طبقة واحدة - وكانت
هذه قبل ذلك عبارة عن عدد من الخلايا الكبيرة - ولقد نشأ
هذا العدد من خلية واحدة كبيرة بها نواة هي التي توجه
نشاطها . هذه الخلية الوحيدة ، التي لا ترى إلا بالمجهر ،
هي مصدر هذه الحياة الزاخرة . وهي الأصل التي تولدت
منه هذه الملايين من الخلايا التي تكون أو تدخل في تكوين

عضو واحد أو نسيج واحد من جسم الإنسان . هذه الخلية
هى البيضة المخصبة التى نشأ منها هذا الإنسان الذى نراه ،
وهى على صغرها وضآلتها إنما تحمل فى ثناياها منابع الأجيال
المتلاحقة التى ستعقبه . إنها تحمل فى ثناياها كل ما يميز
نوعه الإنسانى من صفات .

الخلية

الخلية هي وحدة الكائنات الحية . وهي عبارة عن كتلة بروتلازمية حية ، قد يحوطها غلاف من مادة حية أو غير حية ^(١) ، وعند قتلها ومعالجتها بالصباغ المختلفة ، يمكن ملاحظة أنها تتكون من مادة غير متجانسة التركيب ، وفيها جزء يلتهم الصباغ بشراهة وهو المهيمن على كل ما يجرى بالخلية من نشاط حيوى - هذا الجزء هو المعروف بالنواة .

لقد ساهم الوالدان فى إنتاج هذه البيضة المخصبة ، فأعطت الأم البيضة كما أعطى الوالد الخلية الذكرية ، وهما المشيجان اللذان يربطان الأجيال المتعاقبة ببعضها البعض . إنهما يمثلان الجسر الوحيد الذى تعبّر به الصفات المتوارثة من الأجيال السابقة إلى الأجيال اللاحقة .

والبيضة كبيرة الحجم بالنسبة للخلية الذكرية ، وهي

(١) مادة حية فى أغلب الحيوانات ، ومن مادة ميتة فى أغلب النباتات

تحتوى مادة غذائية مختزنة يستغلها الجنين بادية الأمر ،
أما الخلية الذكرية فإنها صغيرة متحركة .

ويختلف حجم البيضة فى الحيوانات المختلفة ، فهى كبيرة جداً فى الطيور لأنها تحتوى المواد الغذائية التى تلزم الجنين فى أدوار تكوينه . كما أن البيضة كبيرة بالنسبة لأنثى الطير التى تضعها ، كما يشاهد ذلك بوضوح فى بيض الدجاج أو الأوز أو النعام .

أما فى الحيوانات الثديية ، فإن الجنين يعتمد على الأم اعتماداً كلياً ، ويأخذ غذاءه منها وليس من البيضة . ولذا فإن البيضة فى هذه الحيوانات تكون صغيرة ، لا تحتوى من الغذاء إلا ما يكفى حتى تتكون زوائد يثبت بها الجنين نفسه فى جدار الرحم .

تتجه الخلية الذكرية نحو البيضة البالغة ، وتخصبها . ثم يبدأ انقسام البيضة المخصبة إلى خليتين ، وعملية الانقسام هذه هى أساس النمو والتوالد ، فينقرض الغشاء المحيط بالنواة ، وتتحول محتوياتها إلى عدد من أجسام عصبية الشكل يطلق عليها اسم «الصبغيات» نظراً لشراحتها العظيمة للأصباغ ، كما أن

المادة التي تدخل في تركيبها تسمى «الصبغين» أو «الكروماتين» ثم تنصف هذه الصبغيات طولياً ، أى ينقسم كل منها إلى قسمين مماثلين ، ويتجه كل نصف نحو أحد قطبي الخلية ، وبعد قليل تعود الصبغيات إلى حالتها الأولى ، وينقسم بروتبلازم الخلية إلى قسمين ، وتعود النواة إلى حالتها الساكنة . فينتج من الخلية خليتان متماثلتان ومتماثلتان ، لا تزالان تكبران حتى تصبح كل منهما بحجم الخلية الأولى .

وتحوى نواة الخلية في كل نوع من الكائنات الحية عدداً ثابتاً من هذه الصبغيات ، ويختلف عدد هذه الصبغيات في الكائنات الحية المختلفة ، حتى أنه كثيراً ما يمكن معرفة نوع الحيوان أو النبات بعدد الصبغيات التي توجد في نواته المنقسمة . وتختلف هذه الصبغيات فيما بينها شكلاً وحجماً ووضعاً وترتيباً . وتكون عادة منتظمة مثني مثني . ويلاحظ أن مكوفى كل زوج متشابهان في الشكل والحجم .

على أن تنصيف الصبغيات على هذا النحو الذي ذكرناه ، والذي من شأنه أن ينتج خليتين متشابهتين تماماً ، هذا التنصيف يحدث في الانقسام العادي في الخلايا غير التناسلية ،

أى أنه لا يحدث عند انقسام الخلية لتتج الأمشاج فى الغدد التناسلية من خصية أو مبيض . أما فى الخلايا التناسلية فإن الصبغيات تزدوج مثنى مثنى فى الخلية ، ثم يفصل مكونا كل زوج . وبذلك يصبح فى كل مشيج نصف عدد الصبغيات الذى يوجد عادة فى خلايا الكائن الحى . وعند ما يتحد المشيجان - البيضة والخلية الذكرية - تتكون البيضة المخصبة ، وفيها يعود عدد الصبغيات سيرته الأولى ، أى أن العدد فيها يساوى ذلك الذى يميز النوع الذى يتسب إليه الكائن .

ولذا فحصنا البيضة المخصبة تحت المجهر ، وحدنا أن أحد فردى كل زوج من الصبغيات إنما جاء عن طريق الأب من الخلية الذكرية ، والآخر من الأم عن طريق البيضة . ومع أن البيضة المخصبة تحمل فى ثناياها كل الصفات التى تميز الكائن الجديد من طول أو قصر ، بياض أو سواد ، ذكاء أو غباء ، سواد فى العين أو زرقة فيها ، فإننا لا نستطيع أن نميز شيئاً من ذلك فى البيضة المخصبة ذاتها .

ومن المحقق أن ثمة عوامل بيئية كثيرة تؤثر على الشكل العام

للكائن الحى ، فتجعله يختلف عن أقاربه أو نظرائه من بنى نوعه ، ومن هذه العوامل البيئية التغذية مثلاً . فإذا كان نصيب الكائن من الغذاء وفيراً ، أثر ذلك فى مظهره العام فجعله بادرى الصحة والرفاهة عن آخر من بنى جلده لا يكاد يصيب من الغذاء إلا ما يبقى على ريقه . وكذلك الحال فى النبات ، فلو أنك زرعت شجرة توت مثلاً ، وجعلتها فى مهب الرياح . تعصف بها من وقت لآخر ، وكانت هذه الشجرة بعيدة عن مورد الماء أو منسوبه ، فهى لا تصيب منه إلا القليل ، فإنها من غير شك تكون ضئيلة قميئة إذا قورنت بشجرة قريبة من جدول يجرى به الماء من آن لآخر أو فى داخل حديقة معنى بأمرها .

على أن هذه العوامل البيئية لا تستطيع ، أو لم يثبت أنها تستطيع ، أن تؤثر تأثيراً جوهرياً على الكائن الحى ، فتحيل لون الزهرة من أزرق إلى أحمر ، أو تحيل لون العين مثلاً من أزرق إلى أسود . أو نوع الشعر من سبط إلى جعد ، أو تحيل الطويل إلى قزم . فثل هذه الصفات أساسية متوارثة ، تنقلها الأمشاج عن طريق الصبغيات من الأبوين ، وفق

قوانين خاصة سنشير إليها فيما يلي من فصول .

وقد أصبح قولنا « من شابه أباه فما ظلم » ، أو « أنظر إلى الأم قبل أن تتزوج ابنتها » أصبح مثل هذا الكلام متعارفاً ، ومتفقاً عليه ، فأنت لا يكاد يستوقف سمعك قول القائل . إن هذا الولد يشبه أباه في بخله أو في شراسته أو لؤم طبعه . وإذا اشتهر الوالد بهذه الصفات . وكان الولد على نقيضه ، قلنا إن هذا الولد فلتة في العائلة أو أنه نسيج وحده . وإذا كان الولد فاسداً والأب صالحاً قلنا في موضع التعجب ، يخلق من ظهر العالم فاسد ... وهكذا .

وكذلك يجرى مجرى الاعتقاد ، أن هذه العائلة قد اشتهرت بالكرم ، وأن تلك قد اشتهرت بالبخل ، وأحياناً يطلق هذا القول على قرية أو بلدة ، وأحياناً يطلق على مديرية أو قطر . فنقول إن بلدة كذا مشهورة بالجمال ، وأخرى تغلب فيها الدمامة ، وأن أهل تلك الناحية كرماء لضيوفهم أو أن هؤلاء أذكاء وأولئك أغبياء . كأن الخلف ينقل عن السلف من جيل إلى جيل ، كل هذه الصفات ، مع ما يتبعها من لون الجلد ، أو لون العيون ، أو لون الشعر ، إلى غير ذلك من الصفات

التي نراها شائعة في عائلة ما أو في بلد ما أو في شعب بأسره ،
على تفاوت كبير أو ضئيل في التفاصيل .

ومع ذلك فمن المقطوع به أن أحداً لا يمكن أن يشابه أباه
تمام التشابه في جميع الصفات ، حتى يمكن أن يقال إن كل
فرد إنما هو نسخة واحدة غير مكررة على مر الأجيال
والأحقاب . وإنه يندر أن يأتي في يوم من الأيام أو في عصر
من العصور نسخة تطابقه تماماً أو شبيه يماثلته تمام التماثل ،
حتى يمكن أن نقرر أن هذا التباين ، مهما يكن حظه من
الضآلة إنما هو قاعدة مقررة لا يكاد يوجد ما يشذ عنها ، ومع
ذلك فالشاذ يثبها ويزيد في توكيدها .

ولأنك لتجد مثل هذه الآراء عن الوراثة منذ عهد أرسطو
المعلم الأول ، يتداولها العلماء جيلاً بعد جيل ، إلا أنها كانت
آراء نظرية دعائمها المشاهدة دون التجربة ... حتى خطت
خطوات موفقة منذ اخترع المجهر ذلك المنظار الكبير ، الذي
أمكن بواسطته فحص الخلايا . نعم لقد كان كشف المجهر
في أواخر القرن السادس عشر أكبر نصر للعلوم الطبيعية عامة
وعلوم الحياة بوجه خاص . فدرس تركيب الخلية ، وعرفت

محتوياتها ، ودرست البيضة المخصبة والأمشاج ، وتقرر أنها لابد تحمل عوامل الوراثة التي تنقلها من السلف إلى الخلف .
وقد وضع لتفسير ظواهر الوراثة عدة نظريات ، لم يثبت منها الكثير ، ومنها ما كتب له حظ من الثبوت . ومن بين تلك نظرية « الايديوبلازم » ، وهي التي تقول إن بالخلية مادة خاصة ، وظيفتها تنظيم نقل الصفات الوراثية إلى الجيل الجديد . وقد بقيت هذه النظرية سائدة مدى حين ، إلى أن اكتشفت الصبغيات .. وعندئذ رُئي أن كثيراً من الوظائف والصفات التي تقول بها نظرية الايديوبلازم ، يمكن أن تحققها وتؤديها الصبغيات .

ثم ظهرت نظرية البلازمة الجرثومية ، وهي التي تقول بوجود مادة خاصة ذات تركيب كيميائي معين ، ولها تركيبها الجزيئي بطبيعة الحال . قيل إن هذه المادة هي التي تحمل الصفات الوراثية . وقيل عندئذ إن استمرار الخلايا الجرثومية من جيل إلى جيل نادر ، أما القاعدة فهي استمرار هذه البلازمة الجرثومية بين الأجيال المتتابة . وأن الفرد يشبه أبويه ، لا لأتتهما أنتجاه ، ولكن لأن كلا من الأبوين نتجا ،

ونشأ من بلازمة جرثومية واحدة ، فهم جميعاً قد انحدروا من هذه البلازمة ، ولكن في أوقات متفاوتة وأزمنة متباعدة حسب أسنانهم وأعمارهم . فكأن الخلايا الجرثومية والأمشاج إن هي إلا ظواهر خاصة في حبل البلازمة الجرثومية المتصل غير المتقطع على مر الأجيال . وأنه في ظروف خاصة ، عند ما تتحد مشيجتان من خلاياه ينتج الفرد الذى يتابع نموه مكوناً الجيل الجديد .

وكذلك قيل إن البلازمة الجرثومية غير قابلة للفناء ، فهى متصلة في بنى البشر من عهد آدم إلى اليوم . فقد فئيت أجسام عاد وثمود وغيرهم ممن عمروا الأرض ، ومع ذلك فإن هذه البلازمة قد انتقلت منهم إلى الأحفاد والنراى الذين يعمرن الأرض في العصر الحديث . لقد بليت أجساد الأجداد ، ولكنها تتجدد وتنمى في الأبناء ... وهكذا دواليك من جيل إلى جيل .

ولقد قيل في تفسير ذلك إنه عند ما تنقسم البيضة المخصبة فإن بعض الخلايا الناتجة تبقى بمعزل عن عمليات الانقسام المتتابعة بعد ذلك ، ولا تدخل في تكوين أعضائه المختلفة ،

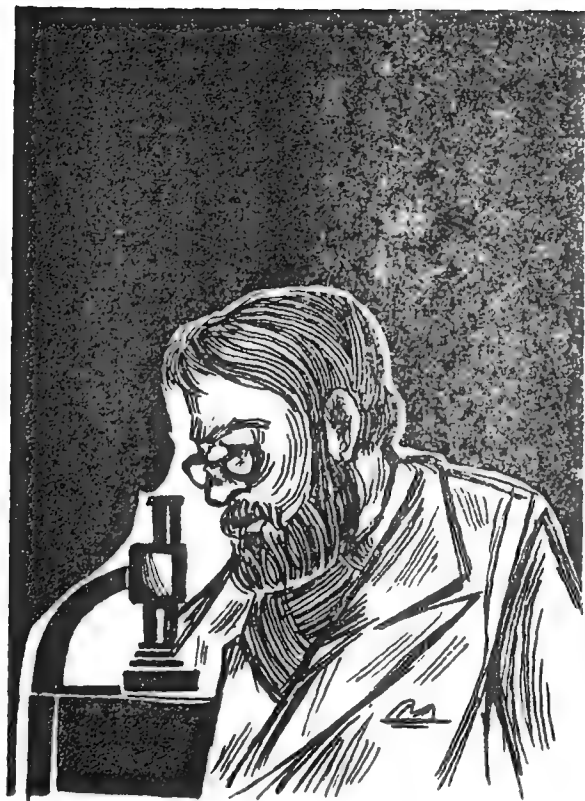
وإنما تستقل مبكرة ، لتكون الخلايا الجرثومية لهذا النشئ
الجديد .

هذه النتيجة باهرة — ما في ذلك شك — فإنها تركز
الوحدات الوراثية في الصبغيات ، أو في الخلايا الجرثومية ،
ولقد ساعدت على تفسير كثير من الظواهر الوراثية ، وإن
بقيت عدة سنوات قبل أن يؤمن بها العلماء .

تجارب « مندل » :

ومن حسن الحظ أن عدداً غير قليل من العلماء كان يحد في البحث والتجريب ليوضح الظواهر الوراثية ، وكان أكثرهم توفيقاً الأب « مندل » . فقد خلقت تجاربه فرعاً قائماً بذاته ينسب إلى هذا العالم الجليل القدر ، الذي جعل يبحث ويجرب على النباتات والحيوانات ، محاولاً أن يحدد العلاقة بين الوالدين وبين الجيل الأول الذي أنتجناه ، ثم بين أفراد ذيك الجيل والأجيال الآتية من بعدهم من الأحفاد والنسب .

لقد زواج « مندل » بين نوعين من البسلة ، أحدهما ذو ساق طويلة والآخر ساقه قصيرة . أو بين ذات الثمار الخضراء اللون ، وذات الثمار الصفراء . لقد جعل « مندل » يزواج بين هذه الأنواع المختلفة فيترع أعضاء التذكير من أزهار البسلة الطويلة ، ويجلب لبويضاتها حبوب لقاح من البسلة القصيرة ،



وينتظر إلى أن يؤتي النبات ثماره وبذوره ، ثم يزرع هذه البذور جميعا ويسجل صفات أفراد الجيل الجديد . ولقد جعل « مندل » مقارناته على أساس عددي حسابي بسيط حتى يعطى نتائج قيمة معنوية ثابتة ، فهو يعد الأفراد المتشابهة في كل جيل ، ثم يعد الأفراد التي خالفت الوالدين وتلك التي شابهتهما .

ولقد كان « مندل » بارعاً في تصميم تجاربه ، وكان فذاً في طريقة استقرائه ونتائجه ، ولذلك لم يكن غريباً أن يبرز سابقه ومعاصريه من المشتغلين بمثل هذه البحوث ، وأن تضفى تجاربه ضوءاً ساطعاً على طريقة انتقال الصفات الوراثية من جيل إلى آخر . ولذلك فقد كان من حقه على هذا العلم أن ينسب إليه فنقول « مندل » ، وأن نتحدث عن « النظرية المنديلية » .

خالف « مندل » سابقه فلم يعتبر الفرد وحدة وراثية ، ولكنما جعل همه ووكده تحديد العلاقة بين السلالات الصريخة التي تنتسب إلى نوع واحد ، وفي معرفة طرق انتقال الصفات الوراثية الرئيسية السبع في البسلة التي اختارها حقلاً لتجاربه ونتائجه . لقد وضحت لديه حقائق كثيرة جعلها أساس

قانونية المشهورين .

عرف مندل أن صفات الأبوين تظهر في الهجين الثاني بنسبة عددية ثابتة ، ومن ذلك قرر الحقيقتين المشهورتين عن انفصال الصفات ثم تنظيمها واقتراها ثانية .

ويمكن توضيح قانون انفصال الصفات ، إذا اتخذنا من لون عيون الإنسان وليكن اللونين العسلي والأزرق مثلاً . فإذا تزوج رجل ذو عيون زرقاء بامرأة ذات عيون زرقاء ، فإن عيون أولادهما تكون زرقاء . كما أنه إذا تزوج رجل ذو عيون عسلية بامرأة ذات عيون عسلية ، فإن أولادهما يكونون ذوي عيون عسلية . وذلك بشرط أن تكون الزرقاة أو العسلية صريجة أصيلة في الأبوين ، أى أن أسلافهما كانوا ذوي عيون زرقاء أو عسلية . أما إذا كان اللون العسلي عند الأب مثلاً ليس أصيلاً في أسلافه ، بل منهم من كانت عيونهم زرقاء ، ثم تزوج هذا الرجل بامرأة ذات عيون زرقاء ، فإن من أولادهما من تكون عيونهم زرقاء ، ومنهم من تكون عيونهم عسلية ، ويكون عدد هؤلاء مساوياً لعدد أولئك .

أما إذا تزوج رجل ذو عيون عسلية ، وكانت هذه الصفة

صريحة في أسلافه ، بامرأة ذات عيون زرقاء ، وكانت هذه الصفة صريحة أصيلة في أسلافها ، فإن أولادها يكونون ذوي عيون عسلية جميعاً . وإذا حدث تزواج بين أفراد هذا الجيل ، فإن من كل أربعة من أولاد الجيل الثاني يكون لثلاثة عيون عسلية ، والرابع فقط تكون عيونه زرقاء ، بمعنى أن النسبة تكون ٣ : ١

وقد استنتج « مندل » من نتائج تجاربه تلك أن هناك صفات تورث ، وأنه لا بد وأن تكون العوامل الوراثية في الخلايا التناسلية (الأمشاج) ، وأنه عند ما تتحد الأمشاج ليتكون الفرد الجديد ، تكون عوامل الصفات الوراثية فيه مزدوجة ، لأن كل مشيج يحمل مجموعة من هذه العوامل ، ويمكن تبادل هذه الصفات ، وتسمى عندئذ بالصفات المتبادلة ، ولها نفس التركيب والوظيفة .

ففي المثل السابق ، لون العين إما أن يكون عسلياً أو أزرق ، والشخص ذو العيون العسلية ، إما أن يكون قد ورث هذه الصفة عن أبويه معا ، وقد يكون أحد هذين الأبوين قد ورثها من أحد أبويه فقط على حين كان الآخر أزرق العينين .

ويلاحظ أن اللون العسلي يسود ويتغلب على الأزرق ،
ولهذا فإنه في كل أربعة أفراد تكون الغلبة لهذا اللون على الأزرق
في ثلاثة منها . وإذا زاوجنا بين أفراد هذا الجيل الأول فنجد
أن بعضهم ينتج أفراداً ذوي عيون عسلية ، كما أن بعضهم
الآخر ينتج أفراداً زرق العيون ، وأما الباقي فإن لون عيونهم
يعيد النسبة السابقة وهي ٣ : ١ أى ثلاثة عسلية وواحد أزرق .
وتكون نسبة ذوي العيون العسلية الصريحة إلى ذوي العيون
العسلية غير الصريحة (وهي التي تعيد النسبة ٣ : ١) إلى
ذوي العيون الزرق الصريحة كنسبة ١ : ٢ : ١ .

وبالمثل إذا زاوجنا بين شخص ذي شعر جعد وزوجة ذات
شعر سبط فإننا غالباً ما نلاحظ أن أغلب أولادهما يكون
شعرهم جعداً ، وتكون النسبة بين هؤلاء وبين ذوي الشعر
السبط منهم هي كنسبة ٣ : ١ فصفة الشعر الجعد تسود
وتتغلب على الشعر السبط ، كما سادت العيون العسلية على
العيون الزرق .

فإذا تزوج شخص ذو عيون عسلية وشعر سبط بزوجة
ذات عيون زرقاء وشعر جعد ، بمعنى أن نجمع بين صفة

سائدة وصفة مسودة عند كل من الزوجين . فإننا نجد أغلب أولادهما ذوى عيون عسلية (وهى الصفة السائدة فى العيون) ، وشعر جعد (وهى الصفة السائدة فى الشعر) أى أنهم يأخذون الصفتين السائدتين من أبويهما حسب النسبة الآتية :

٩ - ذو عيون عسلية وشعر جعد

٣ - « « « « سبط

٣ - « « « « جعد

١ - ذو « « « « سبط

فإذا كانت الصفتان موضع الدراسة : ليس بينهما سائد ومسود كانت النسبة ١ : ٢ : ١

أما إذا كانت إحداها سائدة والأخرى مسودة كانت النسبة ١ : ٣

أما إذا قارنا بين زوجين من الصفات إحداها سائدة والأخرى مسودة فى كل زوج ، فإن النسبة فى الجيل الأول من الأفراد هى ٩ : ٣ : ٣ : ١

وإذا درسنا ثلاثة مثانى من هذه الصفات ، على أن تكون إحدى الصفتين فى كل سائدة بالنسبة للأخرى . كانت

النسبة ٢٧ : ٩ : ٩ : ٩ : ٣ : ٣ : ٣ : ١ . ففى كل ٦٤ فرداً ، تتوزع الصفات بالنسبة المتقدمة .

وبالمثل يمكن دراسة أربعة مئان أو أكثر من هذه الصفات . ولا مرأ فى أن التجريب للحصول على هذه النسب وتلك النتائج إنما تعتوره الصعاب فى الحيوانات الراقية ، وهو أصعب جداً فى الإنسان . ولكنه سهل ميسور فى النباتات . وذلك لأننا لا نستطيع حصر الأولاد الناتجة فى الإنسان وبعضهم يموت قبل أن ينسل . كما أنه ينبغى الانتظار سنين عديدة حتى يصلوا إلى سن الإنسال والدراسة الوراثية بطبيعتها تستلزم حتماً المقارنة بين أجيال متعاقبة حتى يمكن الحصول على نتائج نطمئن إليها .

وكل صفة ، يتصف بها الإنسان — إنما انتقلت إليه عن والديه ، وقد يتشابه الوالدان فى هذه الصفة أو يختلفان . وعند ما يصل الفرد إلى سن البلوغ فإنه ينتج الخلايا التناسلية (الامشاج) وهذه لا بد أنها تحمل هذه الصفة أو تلك . وعند ما تخصب بيضة ، ويتكون الجنين الذى تنتقل إليه هذه الصفة من الأب عن طريق الخلية الذكرية ومن الأم عن طريق البيضة .

وعلى ذلك فإن الكائن الحي — نباتاً كان أو حيواناً — يكون هجيناً بالنسبة لصفة أو أكثر من الصفات . أى أنها كانت نتيجة تلاقى عاملين أو حاملين مختلفين أحدهما من الأب والآخر من الأم . وذلك بالطبع طالما كان التزاوج جنسياً عن طريق إخصاب بيضة بخلية ذكرية . أما الخلايا التناسلية ذاتها فإنها لا تحمل لكل صفة إلا عاملاً واحداً بمعنى أنها بالنسبة لصفة ما يمكن أن تعتبر نقية .

الصبغيات وانتقال الصفات الوراثية

لقد حالف التوفيق والنجاح علم تركيب الخلية ؛ وزادت معلوماتنا عنها زيادة محسوسة كانت تطرد على الأيام . وتحول الفرض إلى يقين أو ما يشبه اليقين بأن الصبغيات هي وحدها من بين أجزاء الخلية هي اللازمة الجراثيمية . وأمكن بها تفسير التوافق بين توزيع الصفات الوراثية وانتقالها من جيل إلى جيل وبين توزيع الصبغيات عند الآباء والأبناء . لقد وضحت الصبغيات هذه المسألة كل الوضوح وفسرت هذه النسب وتلك الأرقام ، وجعلت قوانين « مندل » سابقة الذكر ترقى إلى مرتبة اليقين الثابت . كما فسرت الكثير من تجارب التهجين وإنتاج سلالات أو أصناف جديدة . وذلك بفرض أنها هي التي تحمل الصفات الوراثية ، وأنها هي التي تنقلها من جيل إلى آخر عن طريق الخلايا التناسلية ، وأن كل خيط من هذه الخيوط الصبغية يحمل مجموعة من العوامل الوراثية ، وأن

كل عامل له موضعه الخاص من صبغى خاص ، عند ذلك نرى أن الصفات التى يحمل عواملها صبغى بذاته ، قد تورث مجتمعة ببعضها البعض ، وقد تنفصل نتيجة لتمزق الصبغى أو تقطيعه إلى أجزاء .

وخير مثال يتخذ لتوضيح ذلك إنما هو ذبابة الفاكهة المعروفة باسم « دروسوفلا » ، ففى خلايا جسمها أربعة أزواج من الصبغيات المتجانسة حيث يتشابه ، بل ويتماثل صبغيا كل زوج تمام التماثل فى الجسم والشكل . أما فى الخلية التناسلية سواء كانت بيضة أم خلية ذكرية ، فإنه يوجد أربعة صبغيات فقط (فردية) تختلف فيما بينها اختلافاً كبيراً فى الشكل والحجم والوضع . فكان فى كل مشيخ أحد المثنائى التى كانت فى خلايا جسم الذبابة . وفى البيضة المخصبة ، يعود ازدواج الصبغيات ، حيث تأتلف مثنى مثنى . وفى كل زوج منها يوجد صبغى من الخلية الذكرية (من الأب) وآخر من البيضة (من الأم) . فكان الفرد الجديد أو الوليد الحديث ، يأخذ صبغياته المزوجة التى تحدثنا عنها ، يأخذها من أبويه بالقسطاس المستقيم . ومن هنا كان انتقال الصفات الوراثية

على هذا النحو البديع ، حيث تحمل الصبغيات وتنقلها من جيل إلى جيل .

وتختلف صورة الصبغى فى الأبوين ، ففى أنسجة الأم يتشابه فردا كل زوج ، أما فى حالة الذكر ، فإنه يلاحظ أن أحد فردى أحد الأزواج لا يشابه قرينه ، ولهذا سمي هذا الزوج بالزوج الجنسى أو الشقى ، وأطلق على الصبغيات الثلاثة المتشابهة من هذين الزوجين صبغيات (س) . أما الرابع المختلف شكله فقد سمي بالصبغى (ص) .

ولما كان من كل زوج من هذه الصبغيات يوجد فرد واحد منها فى المشيج ، وعلى ذلك فإن البيضات تكون من هذه الناحية متشابهة ، أى أن بها جميعاً صبغى (س) . أما فى الخلايا الذكرية فإن منها ما يحمل الصبغى (س) ، ومنها ما يحمل الصبغى (ص) .

فإذا أخصبت بيضة ، وهى تحمل صبغى (س) بخلية ذكرية تحمل صبغى (س) كانت البيضة المخصبة حاملة (س س) ، ويكون الوليد أنثى . أما إذا أخصبت البيضة بخلية ذكرية تحمل صبغى (ص) ، كانت البيضة المخصبة

حاملة (س ص) وكان الوليد ذكراً .

فإذا زواجنا بين ذبابة ذات أجنحة طويلة وأخرى ذات أجنحة قصيرة فإننا نلاحظ أن الجيل الناتج يكون كله ذا أجنحة طويلة، فكأن صفة الطول هي المتغلبة لأنها سادت على القصر .
ثم إذا زواجنا بين أفراد هذا الجيل الأول ، فإننا نجد أن من أفراد الجيل الثاني ما تكون أجنحته طويلة ، ومنها ما تكون أجنحته قصيرة، وأن النسبة بين الأفراد ذوات الأجنحة الطويلة وبين ذوات الأجنحة القصيرة هي كنسبة ٣ : ١ .

فهناك عامل يحمل صفة طول الأجنحة ، وعامل آخر يحمل صفة القصر ، ولكن عاملاً واحداً منها يمكن أن يوجد على الصبغي في وقت ما . ففي كل زوج من الصبغيات في ذوات الأجنحة الطويلة يوجد عامل يحمل صفة الطول ، كما أنه في ذوات الأجنحة القصيرة يوجد عامل يحمل صفة القصر . ففي الجيل الأول يأخذ الفرد الجديد من كل من والديه من هذا الزوج من الصبغيات بالذات واحداً يحمل عامل الطول والآخر يحمل عامل القصر . والمشهد كما ذكرنا هو أن عامل الطول يسود عامل القصر .

وعند ما ينتج الحبل الأول أمشاجه ، ففي كل مشيج ، يوجد أحد الصبغين يحمل عامل الطول أو عامل القصر . فإذا فرضنا أن عدد البويضات التي تنتجها الأنثى يساوى عدد الخلايا الذكرية التي ينتجها الذكر ، وأن الإخصاب يتم صدفة وحسباً اتفق ، فستحدث الازدواجات الآتية بين الصبغيات :

أولاً : حاملة عامل طول الأجنحة — مع — حاملة عامل لطول الأجنحة .

ثانياً : حاملة عامل طول الأجنحة — مع — حاملة عامل قصر الأجنحة .

ثالثاً : حاملة عامل قصر الأجنحة — مع — حاملة عامل طول الأجنحة .

رابعاً : حاملة عامل قصر الأجنحة — مع — حاملة عامل قصر الأجنحة .

ولما كان الطول هو السائد على القصر ، ففي كل أربعة ازدواجات تسود صفة الطول في ثلاثة ، والقصر في واحد . أى أنه من كل أربع ذبابات تكون ثلاث منها ذات أجنحة

طويلة ، وواحدة فقط ذات أجنحة قصيرة .

وإذا زواجنا بين ذبابة قصيرة الأجنحة ذات لون رمادى ،
وأخرى ذات أجنحة طويلة أبنوسية اللون . فإن ذباب الجيل
الأول يكون رمادى اللون ذا أجنحة طويلة . وإذا زواجنا بين
ثنتين من ذباب هذا الجيل الأول فإننا نجد فى الجيل الثانى
أربع مراتب :

الأولى — رمادية ذات أجنحة طويلة

الثانية — أبنوسية » » »

الثالثة — رمادية » » قصيرة

الرابعة — أبنوسية » » »

وتكون النسبة فى كل ست عشرة ذبابة على النحو الآتى :

$$١ : ٣ : ٣ : ٩$$

لقد ساد اللون الرمادى مع الأجنحة الطويلة أفراد الجيل
الأول كله ، أما فى الجيل الثانى فقد اختلف اللون الرمادى مع
الأجنحة القصيرة حيناً ، كما اختلف اللون الأبنوسى مع
الأجنحة الطويلة حيناً آخر

على أننا إذا زواجنا بين ذبابة ذكر من الجيل الأول السابق

ذات لون رمادى وأجنحة طويلة ، وذبابة أنثى ذات لون أسود
وأجنحة قصيرة نحصل على النتيجة الآتية :

أولاً : أفراد رمادية اللون ذات أجنحة طويلة ٢٥ ٪

ثانياً : « أبنوسية » « » « » ٢٥ ٪

ثالثاً : « رمادية » « » « قصيرة » ٢٥ ٪

رابعاً : « أبنوسية » « » « » ٢٥ ٪

لقد كانت الأمشاج فى حالتى الأنثى والذكر متساوية العدد

حاملة نفس العوامل .

ويمكن توضيح العلاقة بين عدد الصبغيات فى المشيج

واحتمالات ازدواج الصبغيات بين المشيجين فى اليضة المخصبة

فى الجدول الآتى :

عدد الصبغيات في المشيج عدد احتمالات الازدواج بين

صبغيات المشيجين في

البيضة المحضبة

٤	١
١٦	٢
٦٤	٣
٢٥٦	٤
١,٠٢٤	٥
٤,٠٩٦	٦
١٦,٣٨٤	٧
٦٥,٥٣٦	٨
٢٦٢,١٤٤	٩
١,٠٤٨,٥٧٦	١٠

فإذا عرفنا أنه يوجد في مشيج الإنسان من خلية ذكورية أو بيضة أربعة وعشرون صبغياً ، فإن عدد احتمالات الازدواج بين هذه الصبغيات في الخلية الذكرية ونظائرها في البيضة يكون عظيمًا جدًا ، حتى ولو كان الصبغي يحمل عاملاً وراثياً واحداً .

وفى ذبابة الفاكهة يوجد عدة مئات من الصفات التى يمكن ازدواجها مثل طول الأجنحة وقصرها ، اللون الرمادى والأبنوسى إلى غير ذلك من الصفات . ولما كان بالمشيج أربعة صبغيات فقط ، تحمل العوامل الوراثية المختلفة ، فلا بد إذن أن يحمل كل صبغى عدداً من هذه العوامل . فإذا انتقل الصبغى من خلية إلى أخرى فإنه لا بد أن تنتقل معه مجموعة من الصفات والعوامل التى يحملها .

وإذا زواجنا بين ذبابة سوداء قصيرة الأجنحة وأخرى رمادية طويلة الأجنحة فإن ذباب الجيل الأول كله سيحمل الصبغتين السائدتين وهما طول الأجنحة مع اللون الرمادى . وإذا زواجنا بين ذكر من هذا الجيل الأول وأنثى سوداء قصيرة الأجنحة ، أى أنها تحمل الصبغتين المسودتين ، فسيستج لدينا مرتبتان من النتائج :

الأولى — سوداء ذات أجنحة قصيرة ٥٠ ٪

الثانية — رمادية ذات أجنحة طويلة ٥٠ ٪

وعدد أفراد كل مرتبة مساوٍ لعدد أفراد المرتبة الأخرى

أى بنسبة ١ : ١

ومن السهل تعليل هذه النتيجة إذا فرضنا أن العوامل الخاصة بصفتي السواد والقصر إنما يحملها صبغي واحد . ومن الجائز كذلك القول بأن كل صبغي يحمل عوامل مجموعة من الصفات الوراثية . ولقد ثبت أنه يوجد في كل نوع من الكائنات الحية عدد معين من مجاميع الصفات الوراثية ، وأن عدد هذه المجاميع مساو لعدد الصبغيات في الخلية التناسلية (المشيج) وتتبع هذه المجاميع قانون مندل الثاني في توزيعها وازدواجها وانتقالها وإن بقيت صفات كل مجموعة وحدة مرتبطة .

والآن لتزواج بين أنثى رمادية طويلة الجناح من إناث الحيل الأول في التجربة السابقة وذكر أسود ذى أجنحة قصيرة ، فإنه ينتج لدينا أربع مراتب من التاج لا مرتبتان فقط كما في التجربة السابقة ، كما أن عدد الأفراد في كل يختلف عنه في التجارب السابقة :

الأولى : رمادى ذو أجنحة طويلة ٤١,٥ ٪

الثانية : أسود ذو أجنحة قصيرة ٤١,٥ ٪

الثالثة : أسود ذو أجنحة طويلة ٨,٥ ٪

الرابعة : رمادى ذو أجنحة قصيرة ٨,٥ ٪

وظاهر أن هذه النتيجة تختلف عن سابقتها ، ولعل السبب هو أن أنثى الجيل الأول قد أنتجت أربع صور من البيض بدلا من اثنتين .

وقد قدمنا أن الصبغيات قد تنقطع إلى أجزاء ، وأن هذه الأجزاء قد تتبادل مع بعضها البعض ، فيتحد جزء من صبغى بآخر من صبغى ثان وهكذا . فإذا كانت الصبغيات مختلفة شكلا ، مختلفة فيما تحمل من عوامل وصفات ، فإنه ينتج عما يسمونه عبور العوامل ، هذه النتائج المختلفة لتوزيع الصفات الوراثية .

وإذا زواجنا بين ذكر ذى عيون فاتحة اللون وأنثى ذات عيون حمراء ، فإن عيون الجيل الأول كله تكون حمراء اللون ، وإذا زواجنا بين أفراد الجيل الأول نجد أن النسبة في الجيل الثانى تكون ٣ : ١ أى أنه فى كل أربع توجد ثلاث ذات عيون حمراء ، وواحدة فقط ذات لون فاتح .

على أنه لوحظ أن كل الأفراد ذات العيون الفاتحة ذكور ، فكأن الصفة المتنحية أو المسودة فى الجدد لم توجد فى أبائهم ، كما أنها لم توجد فى أحفاده من الإناث ، وإنما وجدت فى

٥٠ ٪ فقط من أحفاده الذكور .

وإذا زاحنا بين ذكر ذى عيون حمراء ، وأنثى ذات عيون فاتحة اللون ، فإن كل الذكور فى الجيل الأول ، تكون ذات عيون فاتحة ، أى أنها نقلت صفة الأم . أما الإناث فإنها تكون جميعاً ذات عيون حمراء ، أى أنها نقلت صفة آبائها .

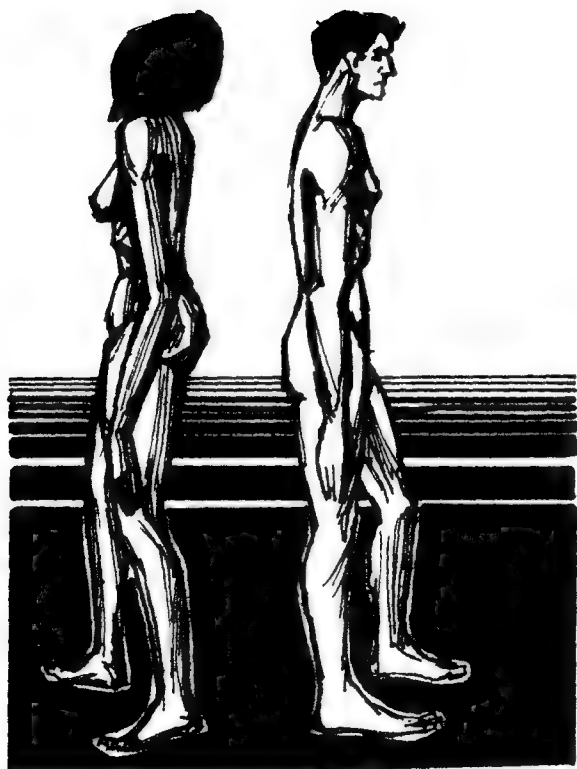
تدلنا هذه النتائج على أن خمرة العيون — فى هذه التجربة — أو لونها الفاتح ، تنتقل من جيل إلى آخر ، وأن هناك علاقة بين هذه الصفة ، وبين نوع الجنس أو الشق ، أى الذكورة أو الأنوثة . ويمكن توضيح هذه العلاقة إذا فرضنا أن الذكر ينتج نوعين من الخلايا الذكرية ، أحدهما يحمل صبغيات س والآخر صبغيات ص . ثم إذا فرضنا أن فى صبغيات س ، توجد عوامل الصفات التى ترتبط عند توريثها بصفة الجنس ، كما ارتبط لون العين الفاتح بصفة الجنس . أما الصبغى ص فلم ترتبط به هذه العوامل . وطبعى أن تختلف هذه الصبغيات فيما بينها شكلاً . فبعضها عصى مستقيم ، وبعضها منحني ، وبعضها معقوص ، ومنها المنتفخ الوسط أو الأطراف ، ومنها الصولحاني .

ويمكن تعليل مشابهة الولد لحاله والبنت لعمتها على أساس الصبغيات . ففي الولد ١ س من أمه ، والبنت ٢ س واحد من الأم والآخر من الأب .

لقد أتى علماء الوراثة على كثير من هذه التجارب ، التي استنتجوا منها غير قليل من النتائج التي أشرنا إلى بعضها فيما تقدم من حديث . وقد ذكر العلامة كرو عدداً من التجارب التي أجريت على دروسوفلا .

وإننا لتساءل الآن : كيف يتاح لشخص ما أن يتصف بصفات لم تكن في أبويه ، أو لم تنتقل إليه عن أسلافه ؟ وبمعنى آخر هل يمكن أن تنشأ صفات جديدة لم تكن موجودة قبلاً ؟.. وللإجابة عن هذا السؤال ينبغي أن نذكر أن مانسميه العامل الوراثي ، هو عبارة عن حالة معينة للمادة الكروماتينية في نقطة معينة ، على صبغي بذاته . وأن الصبغي هو عبارة عن خيط ذي طول معين وشكل معين من المادة الوراثية أو البلازما الجرثومية التي تحدثنا عنها آنفاً ، فهذه الحالة المعينة للمادة الكروماتينية ، في نقطة معينة على الصبغي ، يمكن أن يحدث لها تغيير ما ، قد تنشأ عنه عوامل وراثية جديدة .

وبهذا يفسر البعض ظهور صفات جديدة . ونسمى تلك الحالة الطفرة . وتدل المشاهدات على أن الطفرة نادرة ، وأن العامل الوراثي ثابت لا يكاد يتغير ، بل إنه يقاوم المؤثرات التي تحاول تغييره . ومما يؤسف له أن ما يعرف عن نظام العوامل الوراثية وترتيبها في الحيوانات الكبيرة ومنها الإنسان قليل لا يشفى غلة الباحث . ولعل تقدم البحوث في هذا العلم في المستقبل القريب كفيل بأن يميّط اللثام عن كثير من الحقائق .



الوراثة والجنس

غالباً ما يكون من السهولة بمكان التمييز بين الذكر والأنثى ،
 إذ أن كلا منهما يتميز بصفات ظاهرية ، جلدية أو تشريحية
 أو وظائفية أو عقلية . فقد يختلف حجم الذكر عن حجم الأنثى ،
 أو قد يختلف حجم بعض الأجزاء في الذكر عن نظائرها في
 الأنثى ، أو قد يختلف لون الريش في الطيور في الذكر عنه
 في الأنثى . كما يختلف توزيع الشعر ودرجة انتشاره في جسم
 الرجل عنه في جسم المرأة والثدييات الأخرى . كما تختلف
 حدة الصوت أو عدد كرات الدم الحمراء في السنتيمتر
 المكعب من الدم ، أو تختلف الصفات الكيميائية لبعض
 سوائل الجسم في الأنثى عنه في الذكر .

على أن الصفات الأساسية التي تميز الذكر عن الأنثى
 في الحيوانات الراقية ، هي بطبيعة الحال صفات ووظائف
 الأعضاء التناسلية . وتختلف الغدد التناسلية في الجنسين ،

فالمبايض فى الأنثى ، والخصيتان فى الذكر ، تنتج الأولى
 البيضات على حين تنتج الثانية الخلايا الذكرية أو الحيوانات
 المنوية . وفى كل من الذكر والأنثى توجد قنوات خاصة ،
 تنقل نتاجها إلى حيث يمكن أن يلاقى الآخر عند ما تنبأ
 الظروف . وغير خاف أن الأعضاء التناسلية الظاهرية تختلف
 فى الذكر عنها فى الأنثى .

والآن ما دور الصبغيات فى نوع الجنس ؛ وما هو الدور
 الذى تلعبه فى تعيين النوع ؛ إنها بلا شك تختلف فى الذكر
 عنها فى الأنثى ، ففى الإنسان وغيره من ذوات الثدي ، ينتج
 الذكر نوعين من الخلايا الذكرية (وذلك بالنسبة للجنس) ،
 أحدهما ينتج « ذكراً » عند إخصابه لأية بيضة ، على حين ينتج
 الآخر « أنثى » عند إخصابه أية بيضة . أما الأنثى ، فإنها
 تنتج نوعاً واحداً من البيض (وذلك بالنسبة للجنس) .

وقد عرفنا فى حالة ذبابة الفاكهة أنه إذا أخصبت بيضة
 وهى تحمل صبغى (س) بخلية ذكرية تحمل صبغى (س) ،
 كانت البيضة المخصبة حاملة (س س) ، ويكون الوليد
 « أنثى » . أما إذا أخصبت البيضة بخلية ذكرية حاملة صبغى

(ص) كانت البيضة المخصبة حاملة (س ص) وكان الوليد ذكراً . فيعتبر الذكر من هذه الناحية أحادى الصبغى وذلك بالنسبة للجنس ، لأن الصبغى (ص) إنما جاء من مشيج واحد . أما الأنثى فإنها ثنائية الصبغى بالنسبة للجنس وذلك لأن الصبغى س قد جاء من البيضة والحيوان المنوى على سواء . ولكن الحال فى الطيور - جرى على غير هذا المنوال ، فإن الأنثى هى التى تنتج نوعين من البيض بالنسبة للجنس ، أما الذكر فإنه ينتج نوعاً واحداً من الحيوانات المنوية .

أما فى حالة النحل فإنه إذا لقحت البيضة أنتجت نحلة أنثى بها ٢٠ من الصبغيات . أما إذا لم تلقح أنتجت نحلة ذكراً بها (٢٠) .

نستخلص مما تقدم أن جنس الحنين ، ذكراً كان أو أنثى ، إنما يتعين وقت الإخصاب ، تبعاً للصبغى الخاص الذى يحمل عامل الجنس .

وقد ذكر العلامة « كرو » حالة عائلة اشتهر أفرادها بالتزيف الدموى ، فدهمهم إذا فصد لا يتجمد بسرعة . ومن الخطر على هؤلاء ، أن يخلعوا أسنانهم أو أن يجرحوا ؛

وكانت نتيجة دراسة أفراد هذه العائلة مدى أجيال أن لوحظ ما يأتي :

الرجل — قد يكون نزافاً أو طبيعياً .

المرأة — قد تكون نزافة أو طبيعية أو ناقلة (أى أنها لا تكون نزافة ولكن تحمل عامل التريف لتنقله إلى أولادها)
فإذا تزوج نزاف ونزافة ، كان النتاج كله نزافاً ، ذكراً وإناثاً .

وإذا تزوج نزاف وناقلة ، فإن الذكور تكون نزافة أو طبيعية . أما الإناث فإنها تكون نزافة أو ناقلة .
وإذا تزوج نزاف وطبيعية ، فإن الذكور تكون طبيعية والإناث ناقلة .

وإذا تزوج طبيعي ونزافة ، فإن الذكور تكون نزافة والإناث ناقلة .
وإذا تزوج طبيعي وناقلة ، فإن الذكور تكون نزافة أو طبيعية والإناث ناقلة أو طبيعية .

ونستطيع تفسير هذه الظاهرة ، إذا افترضنا ، أن هذه الصفة ، إنما حملها صبغى الجنس (س) . ولما كان الذكر

يحمل صبغياً واحداً من (س) أما الآخر فإنه (ص) ، على حين أن الأثنى بها الصبغيان (س س) ، فثمة عامل التزيف على أحدهما يمكن أن يتعادل بعامل (طبعى) على الصبغى الآخر . ولما كان الجنس يتعين وقت الإخصاب كما ذكرنا : تبعاً لما يحمله الحيوان المنوى ، من عامل للذكورة أو عامل للأنوثة .

من ذلك نتبين أن هناك علاقة أو ارتباطاً وثيقاً بين هذه الصفة الخاصة بالدم وبين الجنس ؛ مما يجعلنا نعتقد أن صبغى الجنس يحمل معه العامل المختص بهذه الصفة .

ويمكن توضيح هذه العلاقة بدراسة الظاهرة المعروفة « بالخنوثة » . ودراسة هذه الظواهر أيسر بكثير إذا كانت على حيوانات صغيرة منها على الإنسان . ففي ذبابة الفاكهة « دروسوفلا » نجد أن الخنوثة الجانبية شائعة ، فتكون الذبابة أنثى كاملة طبيعية فى نصف جسمها ، وتكون ذكراً كاملاً فى نصفه الآخر ؛ فإذا فحصنا أنسجة النصف المذكور تحت المجهر ، نجد أن بخلاياه صبغياً واحداً من صبغيات الجنس بدلاً من اثنين . على حين نجد فى النصف المؤنث صبغيين اثنين وهو

العدد الطبيعي في الأنثى . وقد نتج هذا من فقد أحد الصبغيات (س) من البيضة المخصبة في أثناء انقساماتها الباكورة ، أى أن إحدى الخلايا الناتجة لم تحصل على الصبغى (س) الخاص بها . وكان من نتيجة ذلك أن كل الخلايا التى نشأت من هذه الخلية الفقيرة في الصبغى (س) تكون ذات تركيب ذكرى ، كما أن كل الخلايا والأنسجة الناتجة من الخلية التى كان بها الصبغيان (س س) تكون ذات تركيب أنثوى .

ففى « دروسوفلا » كما فى الإنسان يكون الفرد ذكراً لأن البيضة المخصبة التى بدأ بها كان بها صبغى واحد من (س) مجتمع مع اثنين من صبغى آخر (أ) أى (١ س : ١٢) أما الأنثى فلأنها لذلك لأن البيضة المخصبة كان بها اثنان من صبغى (س) مؤتلف مع اثنين من صبغى آخر (أ) أى (٢ س : ١٢) .

ومن رأى « كرو » أنه إذا كانت العوامل الوراثية تفرز مادة كيميائية تتميز بها ، فلا بد أن البيئة الداخلية للبيضة المخصبة التى تنتج الذكر تختلف عن تلك التى تنتج الأنثى ، ففى الأولى توجد بيئة الذكورة ، أما فى الثانية فإنه توجد بيئة

الأنوثة . وفي هذه وتلك تتتابع أطوار النمو المختلفة ، وتتحول الغدد التناسلية إلى مبايض في الأنثى ، وإلى خصيتين في الذكر .

وبما لاشك فيه أن الغدد التناسلية تلعب دوراً أساسياً جداً في تمييز الذكر عن الأنثى . وإن كثيراً من الغدد الثانوية ليتوقف عملها على قيام الغدد التناسلية الرئيسية بوظائفها على الوجه الأكمل . بل إنها لتؤثر على نمو العظام ، وبالتالي تؤثر على تناسق النسب بين أعضاء الجسم ، كما أنها تؤثر على نشاط الجهاز العصبي للجسم ، كما أن لها أبلغ الأثر على عمليات الهضم والتمثيل التي تجري بالجسم ، علاوة على آثارها على الوظائف الفسيولوجية للأعضاء المختلفة . وإن أثر هذه الغدد ليتبدى واضحاً في الحالات الآتية :

أولاً : إذا استؤصلت هذه الغدد .

ثانياً : إذا أضيفت هذه الغدد إلى شخص ما .

ثالثاً : إذا تعاطى شخص ما خلاصة هذه الغدد .

استئصال الغدد :

فإذا استأصلنا هذه الغدد من فأر ذكر حديث الولادة ،

فإننا نلاحظ عدم نمو الأعضاء التناسلية . وإن لم يتأثر النمو العام للفأر . ولما كان المعروف أن هناك تبايناً في سرعة النمو تبعاً لنوع الجنس ، وقد رأينا أن استئصال الخصيتين لم يؤثر على النمو العام ، فإنه ليلو أن سرعة النمو هي التي تتبع نوع الجنس ، على أن هذه ليست صفة ثانوية للغدد .

أما في حالة الأنثى ، فإن المبيض لا يؤثر على الجسم قبل سن البلوغ ، فإذا حقنا خلاصة مبيض ، أو زرعنا مبيضاً بالغاً في أنثى غير بالغة ، فإننا نلاحظ سرعة نمو الأعضاء التناسلية .

ويتوقف أثر عملية الاستئصال على وقت إجراء العملية بالنسبة لعمر الشخص أو الحيوان التي تجرى عليه عملية الاستئصال . فإذا استؤصلت الخصيتان قبل البلوغ ، فإن الأعضاء التناسلية لا تنمو نمواً طبيعياً ، بل تبقى هي وملحقاتها من قنوات وغدد ، ضئيلة ضامرة وصغيرة الحجم ، كما أن اللحية لا تنبت إلا في أخريات العمر ، عند ما يبلغ الرجل أُرذل العمر ، وهي عندئذ تشبه ما ينبت للمرأة المسنة ، ويكون نمو شعر العانة مشابهاً لنظيره عند المرأة . كما يكون الصدر والأطراف

عارية من الشعر تقريباً . كذلك يتجمع الدهن تحت الجلد في مواضع مشابهة لما يكون عند المرأة ، في الإليتين والصدر وغيرها من المواضع التي تتميز بتجمع الدهن فيها عند المرأة دون الرجل ، كما تبقى مناطق النمو في العظام الطويلة نشيطة ، بل إنها تستمر في نشاطها حتى الخامسة والثلاثين . ولذلك فإن الخصيان يصلون إلى أطوال لا تتناسب وأجسامهم . كذلك تبقى عظام الحوض كما تبقى الحنجرة كأنها لطفل . كما أنه قد تبقى بعض مظاهر الرغبة الجنسية وقتاً ما في بعض الأحيان . أما الذكاء فإنه غالباً لا يتأثر ، ولكن البلادة والبرود وانعدام الشهوات ، هي الصفات السائدة عند الخصى .

أما الاستئصال بعد البلوغ ، فإنه يوقف نمو اللحية ، ثم يمحوها محوآ . كما يؤثر على نمو الشعر في أجزاء الجسم المختلفة ، كذلك ينسب الدهن في أجزاء خاصة ، وتضمر الحنجرة ، وترتفع درجة الصوت ، وقد تبقى الشهوة الجنسية مدى حين ، ولكنها إلى زوال محقق بعد مدة .

ويستأصل المبيض من المرأة جراحياً في حالات مرضية خاصة ، ويكون عادة بعد تقدمها في السن نوعاً ، وعلى ذلك

لا تبدى آثار كثيرة لاستئصاله . ولكن المحقق أن أعضاءها التناسلية تضمّر ، وخاصة الفرج والرحم ، ويزداد شحمها ويثقل وزنها ، وتضمّر الأثداء ، كما تقل شهوتها الجنسية . وفي بعض الحالات تتأثر حالتها العقلية ، وتعرّجها اضطرابات عصبية .

نستخلص مما تقدم أن استئصال الغدد التناسلية يؤثر على نمو وتركيب وفسولوجية كثير من الأعضاء ، كما يؤثر على الحالة النفسية للشخص . والواقع أن هذه الغدد لا تؤثر على الأجهزة التناسلية فحسب ، بما فيها من غدد وقنوات ، بل إنها تؤثر أيضاً على نمو الشعر وتوزيعه على أعضاء الجسم ، وكذلك تؤثر على درجة الصوت ارتفاعاً وانخفاضاً ، كذا تتأثر عمليات التحول الغذائي ، فما لا شك فيه أن نتائجها يتأثر إذ يتناقص كتنيجة لهذه العملية وخاصة للمواد الكربوهيدراتية والدهون ، أما المواد الزلالية ، فإنها لا تتأثر عادة .

ويتبع هذا الاستئصال ، اضطراب عمل الغدد الصماء من نخامية ودرقية وأدرينالية ، وطبيعى أن تضطرب أعضاء أخرى وأجهزة أخرى كانت هذه الغدد تنظم عملها ، كما أن آثار هذا

الاستئصال تختلف تبعاً لوقت إجراء العملية بالنسبة لسن البلوغ ، فإنه قبل البلوغ يمنع نمو الأعضاء التناسلية . ويؤثر على الصفات الثانوية التي تتوقف على نوع الجنس . أما إذا كان الاستئصال بعد البلوغ فإن آثاره تتناسب عكسياً مع عمر الشخص عند إجراء العملية .

غرس الغدد :

بينما أن استئصال الغدد يتبعه حدوث تغيرات عدة للكائن ذكرًا كان أم أنثى ، كما أن إتلافها يؤدي إلى نتائج مشابهة . وكذلك إذا غرست غدد مناسبة بنجاح ، وفي الوقت الملائم ، فيستعيد الشخص صفاته الجنسية الطبيعية ، ولا بد أن تبدى مظاهر جنسية خاصة نتيجة لهذا الغرس .

ومن اليسير أن نوضح أن الذكورة الناضجة والأنوثة الناضجة لا يمكن أن تبدى في غياب غدد أخرى عدا الغدد التناسلية ، كالغدد ذات الإفراز الداخلي مثل الغدة الدرقية ، وإن كانت آثارها مختلفة بعض الاختلاف ، فإن استئصالها أو مرضها في الثدييات يؤدي إلى حالات مرضية خاصة ، لا يمكن أن تشفى إلا بعلاج الأنسجة التي توقفت عن تأدية وظائفها . أما

الاستئصال فإنه لا يؤدي إلى حالات مرضية ، ولكن القرد يتغير فسيولوجياً ، أما الصحة العامة للشخص ، فإنها غالباً لا تتأثر ، فإن الغدد التناسلية هي التي تختص بنمو وظهور الصفات الأساسية ، أما الصفات الجنسية الثانوية ، فإنها تنمو وتظهر فقط إذا كانت الغدد التناسلية نشطة طبيعية في جسم سليم معافى .

وقد أجريت تجارب كثيرة على حيوانات مختلفة ، فلاحظ أنه إذا خصى حيوان في عمره الباكر ، ثم بعد مدة غرست فيه خصيتان أو أخريان من حيوان ينتمى إلى نفس النوع ، ونجحت العملية ، فإن الحيوان يحتفظ بصفاته الجنسية كاملة غير منقوصة . ويلاحظ أن البروستاته والقضيب يكون نموها طبيعياً ولا يتورهما شذوذ ما في هذه الحيوانات .

ويمكن إعادة الذكورة كاملة أو جزئية ، حتى في الحيوانات الكبيرة التي خصيت في سن مبكرة . وينبغي أن نذكر أن درجة النجاح في هذه العملية تتوقف على السن التي خصى فيها الحيوان ، والسن التي أعيد فيها غرس الغدد ، والمدة التي انقضت بين إجراء العمليتين .

وبالمثل يمكن إعادة الأنوثة لأنثى استؤصل مبيضاً ، وذلك بغرس مبيض آخر من أنثى مشابهة أو قريبة في النوع ، وفي هذه الحالة لا يضمر الرحم ، بل يأخذ حجمه في الزيادة ليستعيد حجمه الطبيعي إن كان قد بدأ في الضمور ، وتستعيد المرأة طمها العادي .

وكذلك يمكن تأنيث الذكر بالخصى وغرس نسيج مبيض ، فنظهر الصفات الأنثوية ، فتكبر الأثداء وتنشط ، وتختفي صفات الذكر ، فيضمر القضيب ويتضاءل . ولتذكير الأنثى يستؤصل المبيض وتغرس الخصية ، فيلاحظ ضمور الأثداء ، وبالمثل ينكمش الرحم ، ويكبر البظر إلى أن يصبح حجمه مشابها لحجم القضيب .

نستنتج من ذلك أن العمل الفسيولوجي للمبيض والخصية إنما هو عمل خاص بالجنس ، وأن إفرازات هذه الأعضاء ليست خاصة بالنوع ، بمعنى أن خصية الشامبتري يمكن أن تحل محل خصية الإنسان .

وقد يكون من المستطاع بناء على ذلك أن نتج خنثى صناعيا ، وذلك بأن نجاور بين نسيج مبيض وآخر من

الخصية في جسم شخص واحد . فإذا أجرينا عملية التآنيث
 للذكر طبعي ، به كل الأجهزة التناسلية للذكر ، وبه كل
 صفات الذكورة ، وذلك بأن غرسنا به المبيض ، فيلاحظ أنه
 تكون له أنداء الأنثى ، وبالمثل فإن الأنثى الكاملة ذات
 الأجهزة والأعضاء التناسلية الطبيعية ، يمكن أن تطعم بخصية ،
 فتبدو عليها صفات الذكور ، بل يذهب بعض العلماء
 ومنهم « كرو » إلى أنها تنتج حيوانات منوية فعالة .

وبالمثل يمكن اصطناع الخنثى ، وذلك بوساطة غرس الخصية
 والمبيض لشخص خصي .

وطبيعي أن تتأثر الحالة النفسية للشخص نتيجة لهذه العمليات ،
 كما أنه ينبغي أن لا ننسى أن تحقيق النتائج المذكورة ، إنما
 يتوقف على عوامل كثيرة ، ليس أقلها شأناً ، نجاح الجراحة
 ذاتها ، والبرء التام منها ، علاوة على الحالة العامة للشخص
 أو الكائن الذي استوصلت منه الغدة والصحة العامة لمن غرست
 فيه هذه الغدة ذاتها وقت الاستئصال ، وما قد يعثرها من
 تغيرات بعد انتقالها إلى البيئة الجديدة التي تعيش فيها ، وحالة
 الأنسجة التي تغرس بينها . كذلك عمر الشخص وقت إجراء

عمليات الاستئصال أو الغرس .

ولقد كانت تجرى قبلا عملية إعادة الشباب بغرس خصية قر في الإنسان ، وتتكون الخصية من نسيج ينتج الحيوانات المنوية ونسيج يفرز الهرمونات التناسلية . ففي الخصية المغروسة يضم النسيج الأول وينمو على حسابه الثاني فيزيد إفرازه ويعيد إلى الجسم شبابه ، ثم استبدل بهذه العملية ربط الحبل المنوي لإحدى الخصيتين حيث يؤدي إلى نفس النتيجة .

حقن الأنسجة والخلاصة الغدية :

ولقد كانت نتائج تجارب الحقن حاسمة ، إذ ظهر أنهم تؤثر على الدورة الدموية وعمليات التحول الغذائي ، والجهاز العصبي ، علاوة على أثرها على الصفات الجنسية . على أن هذا التأثير ينجم أيضاً من الحقن بمخلاصات أنسجة حيوانية مختلفة لا القدد التناسلية فحسب . ثم إن تأثير هذه الخلاصة ، يختلف تبعاً لطريقة تحضيرها وحقنها . ثم إنه ليس من السهل إيجاد أثر القدة على الجسم بعد الحقن بمخلاصة غدية ، وخاصة إذا كان العضو المحقون ليس دائم العمل ، أو يظهر نشاطه في أوقات خاصة ، أو تحت ظروف بعينها ، وكان المطلوب إيجاد علاقة

مسامية بين كمية المادة المحقونة وما تنتجه من أثر .
والواقع أن تجارب الحقن بخلاصة الغدد التناسلية تؤيد
الحقيقة المؤكدة وهي أن هذه الغدد في وظائفها الفسيولوجية
إنه الاختلاف بين الجنسين ، وتؤكد الصفات الجنسية
لتباينة ، والعمل الفسيولوجي لغدة تناسلية من جنس مغاير
لها تسبب زيادة نمو الصفات التناسلية للجنس الآخر ،
بالتالى يصبح الكائن خنثى .

وقد ذكرنا أن الجنس يقرر بوساطة توزيع الصبغيات ،
أن الفرق أساسى فى هذه الصبغيات ، منذ طور اليضة
المخصبة ، وأن تحديد جنس المولود إنما يقرر منذ ساعة الإخصاب ،
وسبحان القائل : « يهب لمن يشاء إناثاً ، ويهب لمن يشاء الذكور ،
ويزوجهم ذكراً وإناثاً ويمجعل من يشاء عقيماً ، إنه عليم
قدير » .

فمحدد نوع المولود ، لا يخضع لقانون ما ، ولا يعلمه إلا
الله ، فهو متروك كما نرى لمحض الصدفة ، إن صح أن
للصدفة قانوناً . وكل قول بغير ذلك من معرفة لنوع المولود
وتحديد له إنما هو رجم بالغيب ، أو تغليب للملاحظات

ومشاهدات ، ولكنه لا يخضع لقاعدة أو قانون ما «إن الله عنده علم الساعة ، ويتزل الغيث ، ويعلم ما فى الأرحام ، وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، وما تدرى نفس بأى أرض تموت ، إن الله عليم خبير» .

التباين في الصفات

أثر المولد وأثر البيئة

كثيراً ما يلاحظ أن شخصاً ما قد أتى أمة وحده بين عائلته ، أو بين بنى جلدته ، فهو يختلف عنهم لوناً أو خلقاً ، حتى ليقولن قائل ، إنه ليس منهم ، أو أنه ينبغي ألا ينسب إليهم ، فهو جميل ، وهم يتميزون بالدمامة ، أو أنه كريم ، وهم على نقيضه بخلاء . . . ولقد بينا فيما تقدم كيف تنتقل الصفات من جيل إلى جيل ، فهناك تباين بالمولد ، فهذه الصفات التي تبدو مناقضة لما عليه الأبوين ، كانت كامنة فيهما ، وإنما نقلها إلى أولادهما عن جد من الأجداد قد يكون قريباً أو بعيداً . وهناك تباين ينشأ من بعض عوامل البيئة ، أي أن البيئة التي بها نشأ ، وفيها نما ، قد كان لها الأثر في إيجاد بعض الصفات . على أن الغالب أن أثر البيئة لا يورث ، وإنما هي صفات عارضة لا تنتقل إلى الجيل التالي .

أما التباين بالمولد ، فإنه يعزى إلى ما يحدث من انفصال ثم ارتباط بين العوامل الوراثية المختلفة التى تحملها الصبغيات . أو إلى تغيرات فجائية فيها ، وهو ما أسميناه « الطفرة » فى المادة الوراثية ، أو إلى تغير فى عدد أو ترتيب الصبغيات .

فإذا حدث تغير أساسى فى البيئة التى يعيش فيها الكائن ، ونتج عن هذا التغير تباين فى الصفات ، فمن المحتمل أن يكون هذا قد نشأ من ذلك ، أما إذا لم يكن من أثر البيئة ، فمن المعقول أن يكون التباين بالمولد أى مع الجنين ، ولا يمكن أن نفترض سبباً أو احتمالاً ثالثاً .

فالتباين إما أن يكون بالمولد أو بالبيئة ، وليس من سبب سواهما ينتج هذا التباين . وتباين المولد وراثى ، أما تباين البيئة فالراجع حتى الآن أنه لا يورث ، وللعلماء فى ذلك آراء وتجارب ليس هنا مجال الإطناب فى وصفها أو التحدث عنها بالتفصيل . فإذا انتقيت بنور نوع من النباتات ، وجهدت فى أن تكون خيماً متشابهة متجانسة ، حجماً وشكلاً ، ثم زرعناها فى حديقة ، وكان المكان الذى اخترته للزراعة ذا تربة متجانسة ، وهو متشابه ، من حيث الإضاءة والحرارة والرطوبة والرياح ،

وتسقى بماء واحد ، ومع ذلك فإنك ترى بعضها قد أنتج نباتات شاحبة اللون ، وليست خضراء زاهية كسواها . هذه النباتات الشاحبة هي التي زرعت إلى جانب السور فأظلمها ، فإذا أنت أبعدت عنها هذا الظل الذي يسبغ عليها في ضحوة النهار أو في أصيله ، وعرضتها للضوء ، استعادت خضرتها ، وانعدم التباين بينها وبين بقية النباتات ، فشحوب اللون هنا ، إنما هو أثر من آثار عدم التجانس التام في البيئة ، لأنه نتيجة الافتقار إلى الكفاية من ضوء الشمس . على أن الضوء قد يكون متساوياً بالنسبة للنباتات جميعاً ، ولكنك ترى التباين في طعم الثمار أو درجة الحلاوة إلى غير ذلك من أسباب التباين ، قال تعالى : « وفي الأرض قطع متجاورات ، وحنات من أعناب ، وزرع ، ونخيل ، صنوان وغير صنوان ، يسقى بماء واحد ، ونفضل بعضها على بعض في الأكل » .

على أنك قد تعيد التجربة ، فتنقل نباتاً شاحباً من المكان الظليل إلى المكان الوضيء ، ومع ذلك فإن خضرته لا تعود إليه ، مما قد يدل على أن هذا التباين وراثي بالمولد .

ويمكن القول بصفة عامة ، إن هناك من الصفات ما يتأثر

تأثراً واضحاً بالبيئة ، ومنها ما لا يكاد يبدو عليه هذا الأثر .
 فعند ما نقلت الماشية الأوربية إلى مراعى استراليا وجنوب
 إفريقيا ، تغير شكلها وحجمها ولكن لونها وشكل قرونها
 ظلّا ثابتين لم يتأثرا بالبيئة الجديدة . لقد أثرت البيئة على الحجم
 والهيئة العامة ، ولكنها لم تؤثر على اللون أو شكل القرون ،
 فهذه صفات وراثية .

ومن المشاهد التي يعرفها كل مرب للحيوانات ، أن نوع
 الطعام وكميته يؤديان إلى تباين شديد في الشكل العام والحجم
 لحيوانات من نوع واحد ، فإذا ما أطعمت فراريج من
 صنف خاص معين ، كانت سيقانه وجلده ومناقيره صفراء ،
 إذا أنت أطعمتها ذرة بيضاء ، فإن لون هذه الأجزاء يأخذ في
 التحول تدريجاً ليصبح أبيض . أما إذا أضفت إلى طعامها
 ذرة صفراء أو خضراوات ، فإن الأجزاء المذكورة تستعيد
 صفرة لونها الطبيعية . وهناك صنف آخر من هذا الدجاج ،
 يتميز ببياض سيقانه ومناقيره وجلده ، وهو يبقى محتفظاً بهذا
 اللون ، مهما كان نوع الطعام الذي يتغذى به .

ومن المشاهدات المعروفة ، أن الحيوانات التي تعيش في

المناطق الباردة تتميز بجلد سميك ، يغطيه فراء كثيف يزيد سمكاً عن ذلك الذى يغطى حيوانات من نفس النوع ولكنها تعيش فى مناطق أخرى دافئة . كذلك يلاحظ أن الحيوانات التى تعيش فى بيئة فقيرة فى الأشعة فوق البنفسجية ، يكون نمو عظامها غير طبيعى ، وإلى هذا السبب نفسه يعزى ضعف سيقان الدجاج الذى يعيش فى مثل هذه البيئة .

وفضلاً عن هذه العوامل البيئية التى توجد مثل هذا التفاوت بين الكائنات التى تنتمى إلى نوع واحد ، فإن هناك عوامل أخرى داخلية ، أى أنها بداخل الكائن نفسه ، وهى التى تنتج مثل هذا التفاوت .

فالمعروف أن الغدد الصماء ، تنظم النمو وتسيطر عليه ، فإذا لم يكن التشابه تاماً بين مقدرة هذه الغدد على تأدية وظائفها ، نظراً لمرض بعضها ، أو لحادث أصابها ، فإن هذا يؤدى حتماً إلى تباين فى الصفات العامة . فقد ظهر فى بعض المناطق أن الخنازير تولد ضئيلة ضعيفة هزيلة ، وعارية تماماً من الشعر ، وضج المربون بالشكوى ، إذ أن هزالها هذا تنجم عنه خسارة مادية كبيرة لهم . على أنه تبين من الفحص العلمى

الدقيق أن السبب في ذلك لم يكن سوى نقص مقدرة الغدة الدرقية للأم ، وقد عولجت بإعطاء اليود لهذه الأمهات الولود . وقد قال بعض العلماء ، أن أثر هذه العوامل البيئية على النمو وعلى الصفات العامة للكائن ، وظهور هذه الآثار في الأجيال المتلاحقة التي تعيش في نفس البيئة ، يبعث على الاعتقاد لدى هؤلاء العلماء بأن صفات وراثية جديدة يمكن أن تنشأ بتأثير البيئة .

وقد كان المعتقد أن الأقزام من الحيوانات والنباتات ، إنما نشأت وتسلسلت من نظائرها على مر الأجيال ، نتيجة لنقص في التغذية أو البرد أو الطقس القاسي ، إلى غير ذلك من الظروف التي عرف بالتجربة أنها تؤثر على النمو .

كذلك قال أناس ، إن الحالات التي تظهر من حين لآخر ، كولد بعض الماشية دون ذبول أو دون قرون ، إنما كان نتيجة استمرار قطع الذبول أو القرون مدى أجيال متعاقبة .

ويعتبر توارث الصفات المكتسبة بتأثير البيئة من أعقد سائل علمي الوراثة والتطور . ومن المحقق أن العلم لم يصل إلى نتائج حاسمة بعد ، إذ هناك من المشاهدات والتجارب

ما يؤيدها ، وهناك أيضاً من المشاهدات والتجارب ما ينفيها ، على أنه وإن يكن العلم لم يكشف بعد طريقة توارثها بوساطة الصبغيات ، إلا أنه لم يقطع بعد باستحالتها ، وعلى ذلك يبقى السؤال الذى يحتاج إلى جواب تجريبي قاطع هو : هل هذه الصفات المكتسبة تورث أو لا تورث ؟

ومن التجارب المتواترة فى كتب الوراثة ، تجربة حقن صبغ ما تحت جلد الدجاج ، أو إضافة أصباغ خاصة إلى طعامه ، فكثيراً ما نلاحظ أن هذه لأصباغ قد وجدت طريقها إلى البيض ، وأحياناً نرى هذه الألوان نفسها فيما ينتجه هذا الدجاج من فراريج ، ففى لحومها وقد نالها من هذه لأصباغ قسط ما . فهذا مثل واضح عن انتقال هذه الظاهرة من جيل إلى جيل ، ولكنه لا يقطع أنه انتقال وراثى بالمعنى الدقيق ، لأن البيضة فى هذه الحالة لم تكن إلا حاملة أو ناقلة للمادة أجنبية عارضة .

وكذلك حالة توارث الأمراض من جيل إلى جيل ، وأبرز مثل لهذه الأمراض هو الزهري ، فإنه ليلاحظ فى بعض العائلات توارث الزهري جيلاً بعد آخر ، كذلك ميكروب

الإسهال الأبيض في الدجاج .

وهناك ثبت من التجارب الشائعة عند علماء الوراثة عن استحداث التباين في الصفات بإضافة قليل من مواد سامة أو بعض المواد الكيميائية الأخرى وهي تضاف عادة مع الطعام ، وتعطى بنسب خاصة على صورة حقن .

كذلك تمكن العلماء من استحداث الأسماك الشاذة شكلاً ، أو المبرقشة ، وذلك بتغيير نسب بعض الأملاح الموجودة في الماء ، كأن تزيد في هذا أو تنقص في ذاك أو تضيف ملح عنصر بعينه . وقد ذكر « كرو » أنهم استطاعوا استحداث أسماك ذات عين واحدة ، أو جعل إحدى العينين أصغر من الأخرى ، أو ضمور العينين معاً ، أو استحداث أسماك ضخمة .

كل ذلك تمكن منه العلماء ، وذكروا تجاربهم ، ونشروا الصور والرسوم والأرقام الدالة على جهودهم وبحوثهم ، ولكن ليس هناك من الأدلة ما يقطع بأن هذه الصفات المستحدثة وراثية تنتقل على مر الأجيال كما تنتقل الصفات الأصلية . إذ أنه في كل الحالات السابقة ، إذا أزيل المؤثر الخارجي ،

عادت الحالة في الدجاج أو الأسماك إلى ما كانت عليه قبل التجربة ، أو بعبارة أخرى عادت إلى طبيعتها الأصلية .

وقد أجريت تجارب على الخنازير الهندية ، بأن حقنت الذكور والإناث بالكحول ، فكانت النتيجة الحصول على أجنة شاذة في الحلقة ، ولد بعضها حياً ، وبعضها فارقت الحياة قبل أن يولد . وتعلل هذه الشواذ بأن الخلايا التناسلية قد أصيبت بتلف كبير بسبب الكحول . وعند ما زواجنا بين هذه الشواذ ظهر أن الجيل الثاني قد تأثر هو الآخر ، مما يدل على أن هذه الأضرار التي لحقت بالخلايا التناسلية يمكن أن تمتد أثرها إلى أكثر من جيل .

وفي تجارب أخرى ظهر أن الكحول يقتل بعض هذه الخلايا التناسلية ، وهو بطبيعة الحال يقتل الأضعف ، ويبقى على الأقوى .

ثم إنه علاوة على قتل الخلايا التناسلية والأجنة ، فإن المادة السامة ، قد تؤثر تأثيراً ضاراً على طبيعة المولود ، وينتقل هذا الأثر الضار إلى الأبناء والأحفاد . إلا أن هذا الأثر لا يلبث أن يتضاءل بطبيعة الحال من جيل إلى آخر ، إلى أن يمحي

محواً ، وينعدم حتماً بعد عدد من الأجيال ، ثم يعود التناج سيرته الأولى طبيعياً صحيحاً .

وقد تقدم بنا الحديث عن أثر التغذية على شكل الحيوان ، حيث يلاحظ مربو الحيوانات ولدواجن ، أن تغيير نوع الطعام وكميته يؤثران كثيراً على صفات هذه الحيوانات ، ولكنها جميعاً تغيرات ظاهرية لا تورث . وقد لوحظ أن بعض الحشرات كالعثة ، تبدو أقم لوناً في بعض المناطق الصناعية الرطبة ، وقد عزى ذلك إلى زيادة نسبة الرطوبة ، وإلى تأثير المواد التي تغذى بها الحشرات في هذه البيئة . كما أن الأوراق التي تقنات بها تكون مغطاة بطبقات من أملاح معدنية من متخلفات الصناعات القائمة في هذه المناطق . ونحن لا نستطيع أن نقطع بأن هذا سبب ذاك ، فلعل بين هذه الحشرات ما قد أداها استعدادها الوراثي لتقبل أثر هذه الأملاح المعدنية ، وهذه البيئة الرطبة ، وهذه التغذية الخاصة ، فاستحالت سوداء قائمة حين عاشت تحت هذه الظروف وفي مثل تلك البيئة .

وقد أجريت تجارب كثيرة في السنوات الأخيرة ، كان

الغرض منها إحداث تغييرات وراثية بوساطة مؤثرات مختلفة خارجية ، كأشعة اكس ، أو الأشعة الراديومية وغيرها . وكان المعروف أن حقن مادة أجنبية كالبروتينات أو البكتريا في دم الحيوان ، يؤدي إلى تكوين أجسام مضادة في الدم ، وظيفتها إعدام أو مهاجمة هذه المواد الغريبة ، لتوقف أثرها . وفي إحدى هذه التجارب ، حقنت أنسجة عدسات عيون الأرانب في دم اللجاج ، فأنتج اللجاج الأجسام المضادة ثم حقن دم هذا اللجاج المحتوي على الأجسام المضادة في أرانب حوامل ، وقد لوحظ أن بين الأرانب التي أنتجتها هذه الأمهات المحقونة ، ما كانت عيونها متأثرة مريضة . وقد ظلت هذه الصفة متوارثة ، تنتقل من جيل إلى آخر ، سواء زوجت هذه الأرانب بنوى قرباها أو بغيرها من أرانب صحيحة ذات عيون سليمة .

وقد فسر كثير من العلماء هذه الظاهرة ، بقولهم ، إن الأجسام المضادة للعدسات ، سواء حقنت في دم الأرانب الحوامل مباشرة ، أو في دم اللجاج ، فلانها تهاجم وتنصيب عدسات الأجنة النامية حين كانت هذه في بطون أمهاتها أثناء

حقنها . كما أنها تؤثر في في نفس الوقت على الأنسجة التناسلية للأجنة بنفس الطريقة ، وبذلك تنتقل هذه الصفة إلى الأجيال اللاحقة .

والفرق بين هذه التجارب وغيرها ، أن كلا من خلايا الجسم والخلايا التناسلية قد تأثرت بالعامل الدخيل في نفس الوقت ، والمفروض في هذه الحالة أن تأثر الخلايا التناسلية نوعي ، وليس عاما كذلك الذي نشأ عن الكحول .

وقد كان من نتائج استعمال أشعة اكس ، أن زادت حالات الطفرة في ذباب الفاكهة حوالي ١٥٠ مرة ، كما ظهرت صور جديدة منها لم تكن معروفة من قبل . وتعتبر هذه النتيجة من الأهمية بمكان ، لأن هذا معناه أننا نستطيع بحافز خارجي ، لنا القدرة على التحكم في قوته ، وفي مقدرته ، أن نتيج صوراً جديدة من كائن ما . لأن زيادة حالات الطفرة معناها إيجاد هذه السلالات التي لم تكن معروفة قبلاً . وقد أمكن فعلاً إيجاد سلالات جديدة من النباتات والحيوانات نتيجة للطفرة المفتعلة صناعياً ، بتأثير أشعة اكس أو غيرها من الحوافز والعوامل الخارجية التي تؤثر على الصبغيات .

فنجعلها تتضاعف ، فنتج هذه الصور الجديدة .
ومن المشاهدات المعروفة ، أن الصناع الذين يعملون في
حرقة ما . الحائك أو الخذاء ، أو غيرهما ، يمكن تمييز
عضلات خاصة في سواعدهما مثلاً ، تدل على صناعتهم ،
ولكن المقرر أن هذه الصفات لا تورث .

كذلك لوحظ أنه تنمو على جلد النعامة ثآليل في المواضع
التي تلامس الأرض عند نومها ، يلعلها تكونت نتيجة الضغط
المستمر في هذه المواضع . كما تنشأ ثآليل أصابع القدم نتيجة
استعمال أحذية غير مريحة . ومن الغريب أن بعض هذه الثآليل
قد ظهرت على أجنة النعام قبل أن تفقس من البيضة . فكأنها
تكونت قبل أن تستعمل أو تتعرض إلى ضغط ما .

وعلينا الآن أن نجيب عن السؤال الآتي وهو هل استعمال
عضو خاص أو جزء خاص بطريقة ما ، يؤدي إلى أن يرث
هذا العضو نتائج هذا الاستعمال ؟

مما يؤسف له ، أن العلم لا يستطيع أن يعطي إجابة قاطعة
مقنعة لهذا السؤال . كما أن التجارب التي أجريت ، تختلف
في نتائجها بين مؤيد وغير مؤيد .

تدريب الحيوانات :

أجرى كثير من العلماء مختلف التجارب على تدريب الحيوانات ، لتقوم بعمل معين . فقد علمت الفئران أن تأتي إلى الطعام عند ما يذق الناقوس . وقد لوحظ أن الفئران الصغيرة التي ولدت من تلك التي مرت هذا التمرين ، كانت سباقة إلى الطعام بمجرد سماع صوت الناقوس . أى أنها لم تحتاج إلى جهد كبير لتعود الحضور إلى الطعام عند سماع الصوت ، كما احتاج آباؤها من قبل . ويتكرر هذه التجارب على الأحفاد في المعمل ، ظهر أنها تكرر صوت الناقوس إلى إحضار الطعام والتبؤ له .

على أنه ينبغي لنا أن نحتاط كثيراً عند الاستنتاج من هذه التجارب . فلا ينبغي أن يذهب الاستقراء بنا بعيداً ، فعمل سهولة تعلم الأحفاد والذري من هذه الفئران ، إنما تعزى إلى أنها أصبحت أكثر ألفة ، أن ربيت بين جدران المعمل ، واعتادت رؤية الناس ، وسماع الناقوس في أوقات معينة . نعم إن الاحتياط الشديد واجب في مثل هذه التجارب ، لأنه ثبت من تجارب أخرى أن النتائج كانت سلبية . فإن أحفاد الفئران



التي دربت على أن تجد طريقها خلال ثقب معين ، كانت تحتاج إلى نفس الجهد الذي صرف في تدريب آبائها .
الخلاصة :

وجماع القول ، أن النتيجة التي نطمئن إليها ، هي أن قليلا جداً من ألوان هذا التباين الذي ينتج عن تغير في ظروف البيئة ، ما يصحح أن يقال : إنه يورث . وأن الذي يمكن توكيده بصفة قاطعة أن أغلبه لا يورث .

ولهذه النتيجة أهمية كبيرة . فكل الصفات الوراثية ، التي ندرسها ، والتي تخضع لقوانين الوراثة ، لم تكن استجابة لمؤثرات البيئة ، وأن البيئة ليست عاملاً رئيسياً من عوامل التطور وأن تقدم الكائنات الحية من نبات وحيوان وإنسان لا يمكن أن يطرد بطيئاً أو سريعاً بتأثير تحسن البيئة .

ولعل من الخير أن نقول إن البيئة المناسبة ، تكون مهذاً صالحة لظهور العوامل الوراثية ، وأن من المستحيل أن تضيف عوامل وراثية جديدة لم يكن لها وجود أصلاً ، وذلك بتأثير بيئة ما .

الوراثة وتربية الحيوان والنبات

يلجأ مربو الحيوانات والنباتات ، إلى انتخاب سلالات اشتهرت بصفات مرغوب فيها ، وتربيتها في الظروف التي تساعد على إتمام هذه الصفات وزيادة فيها . ولا شك أن الإحاطة بطرق التكاثر في الحيوان والنبات مما يسهل على المربي عمله ليزيد في الإنتاج . فالماشية التي تدر لبناً كثيراً أو التي تمتاز بوفرة لحومها مما يجهد المربي نفسه ليكثرها ويزيد من إنتاجها . وأشجار الفاكهة ذات الثمار المرغوب فيها ، التي تمتاز بالثمر الكبير الحجم أو الطعم اللذيذ أو النكهة الطيبة ، يجهد البستاني نفسه في معرفة طرائق إنتاجها وتكثيرها وتلقيحها وإخصابها ، مما يزيد في غلة الزارع وبالتالي يزيد في ربحه ، كما أن الإحاطة بقوانين الوراثة التي تؤكد ازدواج العناصر ، أو العوامل الوراثية ، وأنها تنفصل وتتوزع إلى الأبناء فالأحفاد ، وفق قواعد خاصة ، حتى أن المربي يستطيع أن ينتخب وأن يزاوج ،

وأنه غالباً ما يرتقب نتائج خاصة تتحقق في أغلب الأحوال وفق ما ينبغي ويريد .

من المحقق أن إحاطة المربي بهذه المعلومات ، وخبرته التي يكتسبها من كثرة التجارب التي يجربها ، تجعله يتحكم إلى حد كبير في صفات ما ينتج من حيوان أو نبات .

ولأنه لحلم ، لعل العلم يحققه في المستقبل القريب ، أن يتحكم الإنسان فينتج الصفات المرغوبة في نسله وقتما يشاء ، وبالرغم من أن العلم لم ينجح حتى الآن في تحقيق هذا الحلم ، إلا أنه لامراء ، قد وجه الإنسانية نحو تحقيق هذا الهدف لصالح المجموعة البشرية . ألا ترى إلى الأمم السبابة في مضمار المدنية ، كيف تحرم الزواج والإنسال على ذوى العاهات أو المرضى بأمراض وراثية ، وكيف تتحكم في مثل هذه الأمور الشخصية ، وذلك لصالح الأمة وبالتالي لصالح الجمعية الإنسانية .

ألا ترى كيف أجهد العلماء أنفسهم لإنتاج سلالات جديدة من القمح أو الفاكهة المختلفة ، لتكون هذه وتلك ذات مناعة ضد بعض الأمراض ، أو لتكون أوفر إنتاجاً وأجود غلة .

لقد استطاع الأستاذ « بيغن » الأستاذ بجامعة كبردج ، أن يستفيد أعظم فائدة من تطبيق قوانين « مندل » التي تحدثنا عنها فيما تقدم ، حين أنتج صنفاً من القمح فيه كل الصفات المرغوب فيها ، حيث هو وافر الغلة ، عظيم الإنتاج ، وهو مع ذلك صلد ، ذو مناعة ضد أمراض القمح وخاصة الصدأ . فهذا القمح الذي يمتاز بهذه المجموعة من الصفات المرغوبة ، التي هي في الواقع خلاصة الصفات الطيبة في أصناف القمح المختلفة ، إنما هو نتيجة مباشرة لتطبيق طرائق « مندل » . وقد استفاد من ذلك أعظم فائدة زارعو القمح في مختلف بقاع العالم .

وهناك عدد عظيم من الأمثلة الأخرى التي يمكن ذكرها في هذا الصدد ، مما يدل على نجاح تطبيق هذه القواعد والتجارب المندلية ، وأن من الممكن استغلالها اقتصادياً لتزوي أنجح الثمرات . لقد أدى هذا التطبيق إلى إيجاد سلالات مرغوبة من الحيوان والنبات . فعند ما يرى المربي نوعاً من النبات أو الحيوان ، فإنه ينتخب السلالات ذات الصفات الجيدة الممتازة . ثم هو ينتخب من بين هذه الأفراد التي

تميزت عن غيرها ، وهو يحاول أن يستنبطها وأن يزواج بينها ويكثرها . ويتوالى الانتخاب والتزاوج يحصل على السلالة التي يكون فيها جماع الصفات المطلوبة .

على أنه إذا ذكرنا هذا النجاح الذى صادف بعض المربين ، فإنه ينبغي ألا ننسى أضعاف أضعافهم ممن صاحبهم الفشل ، ثم ينبغي أن نذكر الجهود المتواصلة التى يبذلها العلماء فى معاملهم وحقول تجاربهم يتخبون ويزاوجون ويحربون ؛ لأنهم يفنون أعمارهم فى سبيل الحصول على سلالة أقيم وأمنع لتنتفع الإنسانية بعلمهم ، ثم هى بعد ذلك لا تكاد تذكرهم .

ومن المحقق أن هذه القوانين الوراثية تحتاج فى تطبيقها إلى خبرة ودراية حتى تتسق الأسباب والنتائج ، وحتى يستطيع المربي أن يتسلف نتائج تجاربه قبل إجرائها ، فلا يضعف وقته وبجهوده هباء ، وحتى لا ينفق تكاليف قد تكون كثيرة باهظة فى غير طائل .

فمن الصفات المرغوبة عند مربى الدواجن مثلا ، أن يكون حجم البيض الذى ينتجه الدجاج كبيراً ، وأن تكون الدجاجة كثيرة البيض . فعدد البيض وحجمه صفتان مرغوبتان جداً .

علاوة على ميزة أن تكون الحيوانات التي تربي منمائلة ومتجانسة شكلاً وحجماً ، فلا يكون منها القمى الضئيل ، إلى جانب الفاره الضخم . وبما لا شك فيه أن كبر الحجم في الدجاج . أيضاً صفة مطلوبة . كذلك أن تكون جميعاً على حظ عظيم من المناعة ضد الأمراض ، كذلك أن تكون سريعة النمو ، ووفرة الإنتاج .

وكذلك يرغب البستاني أن تكون ثماره كبيرة الحجم ، بديعة المنظر ، وأن يكون إنتاج الشجرة وافراً إلى غير ذلك من الصفات التي تزيد في ربحه .

هذه وتلك من الصفات تعتمد على عوامل كثيرة ، بعضها ينتقل بالوراثة ، لا شك ، وبعضها الآخر مظهرى من أثر البيئة . ولا يمكن الفصل بين أثر هذه وتلك ، بل إن آثارهما متداخلة ، ولذا فإنه ليس من السهل وضع حد فاصل بين الصفات الوراثية ، والصفات المكتسبة بتأثير البيئة .

ومن الأمثلة التي تضرب للتدليل على تداخل هذه العوامل بعضها في بعض ، ما هو معروف مشهور ، من أن الوراثة تلعب دوراً أساسياً هاماً في كمية ونوع اللبن الذي تدره بقرة ما ،

وكذا نسبة ما به من دسم . ولكن نتائج التجارب التي تجري في هذا الصدد غير مقنعة ولا حاسمة ، لأن نوع الغذاء وكميته ، من العوامل ذات الأثر الكبير على اللبن . ومع ذلك فما زال المربون ، يوالون الانتخاب بين الأبقار حتى يحصلوا على ما يعتبرونه البقرة المثالية من حيث إدرار اللبن . فهم يشتون أنساب الأبقار ويسجلون ذات الشهرة الفاتحة في إدرار اللبن ، ويزاوجون بين الذكور والإناث التي يظهر فيها التفوق والامتياز من هذه الناحية ، وكان من نتائج هذا الاختيار المتتابع جيلا بعد جيل اضطراد النجاح إلى أن بلغ منتهاه ، وأصبح من الميسور الحصول على السلالات المطلوبة . ولو أن أولى الأمر يولون هذه المسألة بعض عنايتهم لكان في مقدور فلاحينا استغلال هذه السلالات في حقولهم .

ومن الحق أن نقول ، إنه في بعض الحالات ، لم تنجح التجارب ، أو بعبارة أخرى لم تؤد إلى النتائج المرغوب فيها ، ولا يعرف على التحقيق السبب في فشل التجارب أحيانا ، وإن ثبتت قيمة معرفة الأنساب ، وصفات الآباء ، في تحديد صفات الأبناء ، وظهرت قيمة انتخاب الأصالح جيلا بعد

جيل . ومن المشاهد أن اطراد التحسن ، قد يكون سريعاً في ناحية دون أخرى ، وأنه قد يستمر إلى أن يصل إلى حد يقف عنده ولا يتعداه . وليس من المستطاع دائماً ، إيجاد التعليل الملائم لكل هذه الأحوال .

وقد أمكن أخيراً تعليل بعض هذه الظواهر ، حيث قيل إن الانتخاب أو الاختيار يعقبه تحرك واتجاه نحو الصفة المنتخبة ، عند ما تكون الحيوانات أو النباتات التي تجرى التجارب عليها بها مجموعة من الصفات غير نقية الأصل ؛ فإنه نتيجة لهذا الانتخاب وذلك التوجيه أن تنفصل صفات صريحة غالباً ما تكون هي الصفات المطلوبة . ومن الثابت أن الانتخاب غالباً ما يكون أثره تجمع الصفات المرغوبة . فالصفة الصريحة يتعاقب انتقالاتها في الأجيال المتعاقبة صريحاً . على أن هذا الانتخاب يكون قليل الجملوى ، إن كان الغرض منه تغيير الصفات الأساسية لسلالة معروفة من نبات أو حيوان . كما أن أثر هذا الانتخاب لا يتبدى إلا إذا كانت الصفات المرغوبة وراثية تنقلها الخلايا التناسلية .

وغالباً ما ينجح مربو الحيوانات والنباتات في تنمية الصفات

المرغوبة في السلالات التي يربونها من الحيوانات الأليفة أو النباتات ذات التلقيح الخلطي ، فتؤدي هذه العمليات إلى نتائج باهرة . وما ذلك إلا لأن هذه الحيوانات وتلك النباتات هي نفسها غير صريحة الأصل ، ولكنها « هجن » . ولذلك يطرد النجاح ، بتأثير الانتخاب جيلا بعد آخر . وعند ما تصبح هذه السلالة نقية ، أو عند ما تقارب النقاء ، فإن أثر الانتخاب يتضاءل تدريجاً إلى أن ينعدم . فإن الانتخاب لا يخلق ولا يبتدع ، إنما هو يحسن ويوجد صفات كانت مخبئة أو كامنة أو منتجة ، وبذلك تنتظم أفراد الأجيال الجديدة الصفات المطلوبة المرغوبة .

ومن واجب المربي أن لا ينخدع بالمظهر ، فإن المظهر وحده لا يكفي للدلالة بل لا بد من التجريب على هذه الحيوانات أو النباتات وإنساها ثانية ، وذلك بإجراء التزاوج بين أفرادها مرة بعد أخرى ، وجيلا بعد آخر ، فإن ثبتت الأفراد الناتجة على الصفات المرغوبة ، دل ذلك على نجاح التجربة ، فاطراد التحسن دليل على ملائمة التركيب الوراثي لنقل هذه الصفات ، وبالتالي تحسين السلالة أو الصنف .

وعلى ذلك فخير برهان على محامد الأب ، إنما هي خصال
 بنيه الحميدة ، وأنصع دليل على سجايا البنت إنما هي محامد
 أمها ، أو بالأحرى خلق الأبناء دليل على خلق الآباء ، ومن
 هنا كان المثل القائل «انظر إلى الأم قبل أن تتزوج ابنتها» ، أو :
 من شابه أباه فما ظلم » فهي أقوال مأثورة ، لها دلالتها العلمية
 والتجريبية .»

وكذلك تعرف صفات الحيوانات من أبقار أو خنازير
 أو نحوها من شكل نتاجها ، وغالباً ما يكون الحكم للذكر ،
 لأن واحداً فقط ، يستطيع أن يخصب عدداً كبيراً من الإناث .
 فبوساطة ثور واحد ، طيب الأرومة عريق النسب ، ذى
 صفات ممتازة ، نستطيع أن نزاوج بينه وبين عدد كبير من
 الأبقار ، لنحصل على سلالات ممتازة منها . ثم إننا بذلك
 نحصل على النتيجة المرجوة أسرع بكثير مما لو حرصنا كل
 مرة على انتخاب الإناث ، فنقتصد كثيراً من الوقت . فالذكور
 التى يثبت أنها الأفضل والأقوى والأصلح إنتاجاً ، هى
 وحدها التى يبقى عليها ، أما ما عداها حتى ولو كانت جميلة
 المظهر فإنها تستبعد فى التجارب ، ويتخلص منها بسرعة .

لقد كان من نتائج تقدم علم الوراثة ، وابتداع كثير من وسائله ، وتجاريه ، وطرق التهجين بين النباتات المختلفة الأنواع أو السلالات أن ظهرت أصناف جديدة من الثمار والحبوب والفاكهة ، ذات مميزات ظاهرة ، فهي تجمع إلى جمال الشكل ، كبير الحجم والمناعة ضد بعض الأمراض ، وكذلك الحال في إيجاد سلالات وأصناف من الحيوانات التي تجمع الكثير من الصفات المرغوبة ، مما يجعل لهذه وتلك قيمة عظيمة في السوق إذ يقبل عليها الزارع والمربي والمستهلك مما يخلق رواجاً اقتصادياً يكون عظيم الأثر في حياة الأمة التي تأخذ بالأساليب العلمية في تدعيم أسباب نهضتها .

وقد يلجأ المربيون إلى ما يسمونه « تربية الأقارب » ، فيزاوجون بين الأقارب مهما تبلغ درجة قرابتهن ، فيزاوجون - في الحيوان أو النبات - بين الأخ وأخته ، أو الأب وابنته أو بين الجد والحفيد ، ويقارنون هذه النتائج التي يحصلون عليها بتلك التي تحدث نتيجة لتزاوج الأقارب بالأبعد نوعاً ، كأولاد العمومة أو الخوالة إلى غير ذلك من أسباب القرابة . وإنه ليلزم للباحث أن يطلع على نتائج هذه التجارب المختلفة ،

وسيرى في بعضها ان تربية الأقارب كانت ضارة لم تنتج
الأصناف المرغوبة ، أو أضعفت النسل على مر الأجيال ،
وأن تربية الأبعاد كانت أصلح ، أو أوفر إنتاجاً أو أكثر
إنسالا . على أنه في تجارب أخرى يظهر أن تربية الأقارب
كانت ذات ميزات لا يستهان بها ، فهي تحفظ الصنف ،
وتنقيه على مر الأجيال حتى تصبح صفاته كلها نقية صريحة
حتى لا يكاد يختلف جيل عن سابقه في أى من الصفات .
ثم إنه يثبت بعد ذلك ، حين يصل إلى درجة من الكمال
المنشود . وكان من نتيجة ذلك أن انتفى الرأى الشائع من أن
تربية الأقارب ضارة ، فإن لها مزايا لا يستهان بها في كثير من
الأحيان ؛ وإن ثبت في حالات أخرى أن الأبناء لا يجمعون
مزايا آبائهم ، كما تتناقص قوتهم أو مقلدتهم ، وتقل مقاوتهم
ومناعتهم ضد الأمراض ، أو تضعف درجة خصبتهم ، ويتضائل
حجمهم . وميزة الباحث العلمى أن يعرف الحالات الناجحة
فينميا ويزيد في أسباب نجاحها ، ويتعرف إلى الحالات
الفاشلة فيجنبها ويتقيا ، ولا يضيع وقته وجهوده وماله في
التجريب فيها .

وإزاء هذا التناقض الشديد في النتائج كان من الصعب ، بل من المستحيل إيجاد التعليل الحقيقي لما يحدث . ولقد ساعدت القوانين والشرائع والعادات على تحديد هذا التزاوج القريب في الإنسان ؛ فمنها ما يحرم زواج الأقارب الأقربين كالأخ وأخته ، والأب وابته فقط ، ومنها ما حرمت الحالات والعمات وبنات الأخ وبنات الأخت ؛ ومنها ما كانت تحل هذا وذاك . والمطلع على تاريخ الديانات ، وتاريخ القبائل وعادات أهل الملل والنحل المختلفة ، يجد الكثير من صلات التزاوج المختلفة ، وقد انقرض بعض هذه في العصر الحاضر إما بحكم الشرع أو بحكم الدين أو الأخذ بأسباب المدنية ، أو التقاليد الموروثة والعادات المتبعة . وقد كان تزواج الأقارب الأقربين متبعاً في العائلات المالكة في مصر القديمة ، وبعض البيوت الملكية في أوروبا . وما زال من تقاليد كثير من العائلات أن لا يتزوج بنوها إلا من قريباتهم ولكن وفق أحكام الشريعة الحنيفة السمحاء .

وقد بينا أن نتيجة هذا التزاوج القريب سواء في الكائنات الحيوانية أو النباتية هي تكوين سلالات نقية ، ذات صفات

صريحة ، تنتج كأصولها وآبائها ، وعند هذا يثبت الكائن وتثبت صفاته ، ويصبح متجانساً نقياً . ولكن بينما يكون هذا الاطراد نحو الثبوت والتجانس مستمراً ، قد يحدث إبانته وفي أى وقت ، اضطراب فى ترتيب العوامل الوراثية ، يكون من شأنه ظهور أفراد ذوى صفات متجانسة نقية ، ولكنها ليست مرغوبة ولعلها مهلكة ، قاضية على صاحبها . وذلك بأن يكون الشخص (أو الكائن) ضعيفاً ، عقياً أو شاذاً . لقد تجمعت هذه الصفات المرغوبة فى هؤلاء التعساء ، الذين سيقتضى عليهم الحظ بالتدهور والانحلال والانقراض ؛ على حين أن آخرين سيكون من حظهم تجمع الصفات الجيدة المرغوبة ، وعلى ذلك يكونون أفضل وأقوى من آبائهم ، ويكون توالى الانتخاب من بين هؤلاء مدعاة لظهور أفراد متفوقين يمكن أن يقارنوا بالأصول الذين تفرعوا عنهم ودرجوا منهم .

ويفسر ظهور هذه الحالات التعسة من آن لآخر نتيجة لتربية الأقارب ، بتجمع الصفات غير المرغوب فيها ، أن عواملها كانت كامنة أو متنجية ، ولكنها ظهرت متجمعة نتيجة التزاوج القريب المتتابع ، فربية الأقارب تنقئ السلالة

ولكنها قد تنتج هذه الحالات المفجعة التبعة . وإن كانت قمينة من ناحية أخرى أن تنتج كائنات ممتازة نقية قد جمعت كل محاسن السلالة أو النوع ، ويكون إنتاجها بعدئذ نقياً صريحاً ، ومثل هذه الأفراد الممتازة تكون أعظم ربح يناله المربي جزاء وفاقاً على مآثرته وجهاده في سبيل الحصول عليها .

على أنه ينبغي ألا ننسى النتائج الفريدة الممتازة التي نحصل عليها بالتهجين ، فكثير من المربين قد استطاعوا استحداث هجن ممتازة من حيوانات ونباتات مختلفة ، ذات حجم كبير أو شكل جميل ، علاوة على مناعتها ضد الأمراض ، أو يكون إنتاجها ونضجها مبكراً مما يجعل ظهورها في السوق في وقت ما مجلبة لربح وغير لم يكن المربي يحلم به ؛ وكانت هذه الهجن نتيجة تزاوج سلالات مختلفة تنتمي لنفس النوع ؛ وكثيراً ما تكون هذه الأفراد الممتازة هي الجيل الأول الناتج من تزاوج بين صنفين أو سلالتين .

وقد اهتم العلماء منذ زمن بعيد بتجارب التهجين ، وما ينتج عنها من سلالات وأصناف ممتازة ، وكانت التجارب تجري على حيوانات ونباتات مختلفة ، فمن تجارب على دود الحرير ،

إلى أخرى على الأممك ، أو الخنازير الهندية والقرآن ، وتجارب أخرى على سلالات من نوع واحد من النبات أو أنواع مختلفة من الحيوان كالحصان والحمار أو الحمار والزبرا أو بين الأبقار مع الثور الهندي ذى السنام المعروف باسم (زيرو) أو بينها وبين الثور الوحشى المعروف باسم (ييسون) . وكذلك أجريت تجارب عديدة على التهجين بين أنواع مختلفة من النبات . وكانت نتائج هذه التجارب المختلفة لإنتاج سلالات أو أصناف تمتاز بالنعو السريع ، قدرة على كثرة الإنسال ، سرعة النضج ، ووفرة الحيوية ، ذات مناعة ضد عدد من الأمراض . وكان سر هذا النجاح المائل والإنتاج الضخم لمختلف أصناف الحيوان والنبات الممتاز ، إنما هو متابعة الانتخاب ، وأن يكون التزاوج دائماً أبداً بين الأفراد المتخبة ذات الصفات الممتازة .

وكان من نتائج تنظيم هذه البحوث ، وإنشاء محطات التجارب الضخمة فى مختلف الأمم الراقية فى أوربا وأمريكا ، التى عرفت قيمة العلم وأثره فى تقدم الزراعة وتنمية موارد الثروة الحيوانية وتدعيم أسباب هذه وتلك على أسس علمية وطيدة ، أن غزت الأسواق أصناف من الفاكهة والحيوانات . ويمكن

أن نستخلص من هذه التجارب العديدة الحقائق الآتية وهى :

أولاً : ليس حتماً أن تكون نتيجة التهجين مناسبة ملائمة ، بمعنى أنه لايتحتم أن يكون التاج ممتازاً جامعاً لكل محاسن أبويه .

ثانياً : فى الحالات التى يتميز فيها الجيل الأول ، فإن الأجيال الآتية بعده قد لا يطرد تقدمها ، بل إنه كثيراً ما يكون التزاوج بين الهجن التالية سبباً فى انقراض بعض الصفات الممتازة جيلاً بعد جيل . فى مثل هذه الحالات يكون الجيل الأول فقط هو وحده الممتاز .

ثالثاً : لكى نحصل على هذا الهجين الممتاز ، فإنه قد يتعين أن يكون الأبوان من غير ذوى القربى ، وأن يكون كل منهما صريحاً نقياً فى صفاته ، وأن يكون كل منهما حائزاً على الصفات المرغوبة التى يحاول المربي تعزيزها وإظهارها وتنميتها .

ولقد اشتغل دارون زمناً بمسائل التهجين ، وكان من رأيه أن هذا التزاوج ليس وحده المسئول عما يمتاز به النبات الهجين من سرعة فى النمو ، ووفرة فى الأزهار . فقد وجد « دارون » أن تلقيح أزهار مختلفة على نفس النبات ، أو بين أزهار من نباتات مختلفة لم يحدث بين الحالتين أى اختلاف فى النتائج ،

ولكن ظهر التحسن الملحوظ عنه ما أجرى التلقيح بين أصناف مختلفة أو سلالات من مناطق جغرافية متباينة .

وقد فسر الامتياز الملحوظ في صفات المهجين ، بأن خير ما في أبويه قد انتقل إليه ، فإن كل فرد يحوى صفات طيبة وأخرى رديئة ، بعض صفاته مرغوب فيها وبعضها مرغوب عنه ، فعند التزاوج تمتزج هذه الصفات طيبها ورديتها وقد يطفى الطيب على الرديء ، وقد يزيد الطيب قوة ، إذا ما ائتلف مع الحسن من الصفات التى أتى بها الطرف الآخر . فهذا التزاوج إنما هو فرصة عظيمة ليقوى الضعيف ، ويتحسن الرديء ، ويقوم المعوج ، ويكمل النقص . . ومن هنا كان امتياز التلقيح الخلطى ، والتزاوج البعيد ، بين السلالات المختلفة أو الأصناف المتباينة ، مع انتخاب الأفضل دائماً . والانتخاب ضرورى جداً ، بل هو أساسى وفي المرتبة الأولى ، إذ ينبغى أن نذكر أن القرص متكافئة لتوريث المرغوب وغير المرغوب من الصفات . فالانتخاب هو الوسيلة لإضعاف أو إخفاء الصفات غير المطلوبة ، وتعزيز الصفات المطلوبة وإظهارها . ومتابعة انتخاب الطرفين المتزاوجين ، قمين أن يرقى

أحسن الثمار وأبهى النتائج ، إذ أن كلا منهما سيكمل ويتم ما قد يكون بالآخر من نقص في هذه الصفة أو تلك ، وعلينا أن نذكر أننا ننشد إلى جانب الشكل والحجم ، الحيوية والنشاط والوظائف الفسيولوجية . وتنطبق هذه القواعد على كل تزاوج سواء كان بين صنفين أو سلالتين أو نوعين لإنتاج « هجن » متخبة صالحة قوية وممتازة . ويستطيع المربي ذو الخبرة بهذه الشئون أن يحصل على أفضل النتائج دون حاجة إلى الاستعانة بوسائل غيره . وعليه أن يوطن نفسه على توقع الفشل ، كما يتوقع النجاح سواء بسواء ؛ فقد يحدث أن تكون النتائج عكس ما يبغي ويشهى ، وأحياناً تكون مؤسفة مؤسفة . ولكن خبرته الشخصية وتجاربه هي التي تجعله عظيم الأمل في نجاح ما يتوقعه من نتائج تهجينه . فالحصول على أفراد ذات صفات نقية صريحة هو أولى الخطوات ، ثم المزاوجة بين هذه الأفراد ، للحصول على هجين الجيل الأول ، وهو عادة الأقوى والأصلح ، إذ أنه يكون حائراً على جماع الصفات الطيبة من أبويه . ومن الخبير أن نذكر في هذا المجال ، جهود رجال العلم في مصر ، حين اتبعوا الطرق الحديثة من انتخاب وتهجين لتحسين

صفات القطن ، وإيجاد أصناف وسلالات جديدة تمتاز بوفرة الانتاج . كذلك نجح هؤلاء في انتخاب وتهجين سلالات كثيرة من القمح ، ارتفعت نسبة الجيلوتين فيه ، وكان أكثر مقاومة للصدأ ، كما أنه أوفر إنتاجاً .

كذلك طبقت هذه الأصول الوراثية في تحسين إنتاج الذرة . الشامية ، وذلك بانتخاب النباتات القوية ذات الصفات الممتازة الوفرة المحصول المبكرة في النضج ، ذات المناعة ضد الأمراض ، ثم تلقح ذاتياً ، وتنتخب السلالات الممتازة ، جيلا بعد جيل ، حتى تثبت هذه الصفات الوراثية . وقد انتشرت زراعة الذرة الهجين في أمريكا لصفاته الممتازة التي ليس أقلها وفرة إنتاجه . وإن هذه الزراعة لبسييل الانتشار الآن في مصر نتيجة لجهود العاملين من رجال العلم وتطبيق أصول علم الوراثة ، ويتنبأ العارفون نتيجة لانتشار زراعة الذرة الهجين في مصر بزيادة هائلة في محصوله . ومن بين الصفات التي تمتاز بها بعض هجن الذرة مقاومة الآفات والحشرات ، فمنها ما يقاوم حشرة المن أو دودة الكوز . وقد تظهر هذه الصفات الممتازة طفرة ، ولذلك يعتمد العلماء إلى إحداث الطفرة صناعياً ، باستعمال الكولشيسين أو الأشعة فوق

البنفسجية أو الراديوم .

ولقد كان من نتائج هذه الجهود أن نجح العلماء في إيجاد أصناف ذات مناعة ومقاومة للأمراض كذبول القطن ، والطماطم ، وصدأ القمح واللوبياء والكتان وغيرها .

كذلك نجح العلماء ومربو النبات في إيجاد سلالات متضاعفة الصبغيات ، فما كان عدده الأساسي ٧ مثلاً يصبح ١٤ أو ٢١ وهكذا ، ثبت أنها أكثر نمواً وأوفر غلة وإنتاجاً . وقد استطاع العلماء إحداث هذا التضاعف الصبغي صناعياً بطرائق شتى ، كقطع قمة النبات أو جرحه ، فقد تنشأ نتيجة لذلك أفرع جديدة تكون خلاياها ذات تضاعف صبغي ، قد يساعد على تكوينها المعالجة ببعض المركبات الكيميائية أو هرمونات النمو . أو بتعريض النبات لأشعة إكس أو لتغيرات حرارية فجائية . أو باستعمال الكولشيسين الذي سبقت الإشارة إليه .

وقد كان من نتائج استحداث هذه الطرق الجديدة أن فتحت آفاق جديدة للبحث والتجريب ، لنا أن نتظر منها خيراً كثيراً ، ما دامت في أيدي علماء ممتازين ، يعملون متضافرين في سبيل رفعة الإنسان ورفاهيته بزيادة مقدراته وإنماء ثروته .

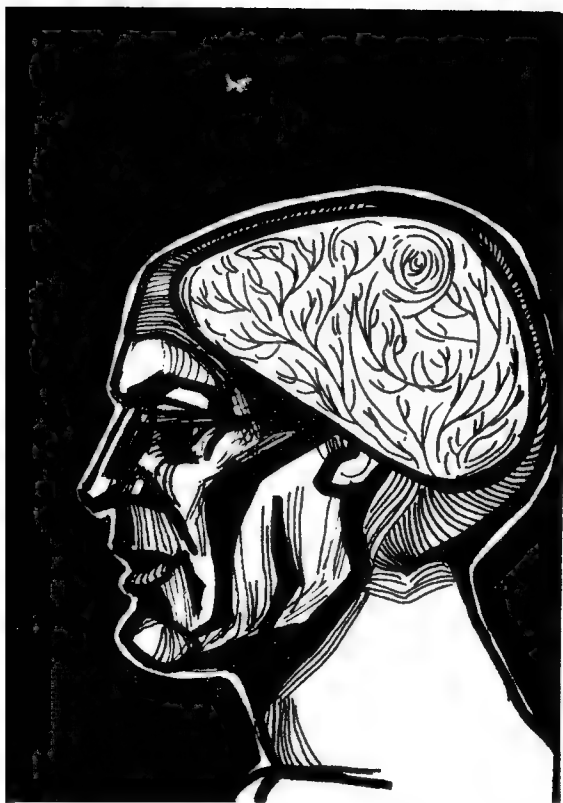
الوارثة في الإنسان

لا مرأى في أن الإنسان يختلف عن غيره من الكائنات الحية من بعض الوجوه ، ولكنه مع ذلك كبير الشبه بكثير من الحيوانات التي أجريت عليها تجارب الوراثة ، وتحدثنا عنها في الفصول السابقة . ومن الطريف حقاً أن يشمل تطبيق القوانين الوراثة الإنسان والكائنات الأخرى على سواء ، وأن ما أجريناه من تجارب على الحيوانات والنباتات نستطيع أن نجريه على الإنسان . ولقد جعل الإنسان وكده وهمه استنبات سلالات جديدة تلائم بيئة ما ، أو تصلح لغرض معين ؛ على أن الصعوبة عند التجريب على الإنسان ؛ أنه ينبغي أن نعين البيئة التي سيعيش فيها أولئك الأشخاص الممتازون . وفي الحق أنه ليس من اليسير إجراء تجارب وراثية على الإنسان ، وليس من اليسير الحصول على النتائج والأرقام المطلوبة الدالة على عدد الأشخاص وعدد الصفات ؛ ثم إنه عند التجريب على الإنسان ، يدخل

عامل لم يكن في الحسبان عند التجريب على الحيوان أو النبات ذلك هو عامل « النفس » ، وإلا فهل تستطيع أن تفرض زواج اثنين ليست لديهما الرغبة فيه ؛ وإذا استطعت ذلك مرة فهل تستطيعه دائماً لتحقيق أغراضك العلمية والتجريبية . وهبك أردت أن تستعين بدراسات تفصيلية لتاريخ الأسر المختلفة ، فهل تستطيع الحصول على كافة المعلومات التي تلزم لهذه الدراسة ؛ ومع ذلك فن المقطوع به أن الصفات الوراثية في الإنسان عديدة ؛ وهي تشبه الصفات التي تحدثنا عنها في الفصول السابقة ، ثم إنها تخضع في انتقالها وتوارثها لنفس النظام الذي تجرى به في الحيوان أو النبات .

ومن الصفات الإنسانية الهامة التي تلذ دراستها ، دراسة الذكاء ، والمقدرة العقلية ، وهل صحيح أن هذه الصفة تورث وتستقل من جيل إلى جيل ، كما ينتقل لون العيون أو لون الشعر وما إلى ذلك من الصفات . لأن كان الأمر كذلك فإن دراسة هذه الصفة الوراثية تكون من أوجب الواجبات على علماء الوراثة ، والمشتغلين بالدراسات الاجتماعية والتربوية .

ولعل ما يجابهنا من صعاب في هذه الدراسة ، هو أن



مقاييس الذكاء ليست في الواقع محددة ثابتة . وأن تحديد التباين بين الأشخاص ليس من السهولة ولا من الوضوح ، بالقدر الذي نطمئن إلى ما نفرضه من أحكام . ويستطيع القارئ أن يذكر من بين معارفه أمثلة ما يتميز أفرادها بالذكاء ، والكفاية ، أو النبوغ في الرياضة أو في الموسيقى ، وأن هذه الميزة قد تعم أفراد العائلة جميعاً أو أغابهم ؛ كما لعله يذكر أسرة أخرى ، قد اشتهر أفرادها بالغباوة أو الخمول أو البخل ، وأن هذه الصفات معروفة في هذه الأسرة أو تلك منذ أجيال . على أن الملاحظ أنه إذا كان الوالدان على حظ من النبوغ والذكاء فإن الغالب أن يكون الأولاد الذين ينسلون على مثل حظهم من النبوغ ، وبالمثل إذا كان الوالدان قد تميزا بغياة وخمول ، فإن الغالب أن يكون أولادهما لهما مثل حظ أبويهما من هذه الناحية . على أنه لا ينبغي أن يعزب عن بالنا في مثل هذه الدراسات أثر البيئة والتعليم ، فمن الحق أنها تؤثر على الصفات العقلية للإنسان . وإن من نافلة القول أن نذكر أن الأولاد غير الشرعيين ، وأشباههم ممن يلفظهم المجتمع ، يكونون أكثر تعرضاً للوثات السيئة التي يشبون فيها من عداهم

من الذين ينشئون نشأة صالحة في بيئة محترمة .
ولعل أحسن وسيلة لدراسة الصفات الوراثية في الإنسان ،
هي دراسة التوائم . إذ المعلوم أن التوأمين قد ينشآن من بيضة
مخصبة واحدة لها تركيب وراثي واحد نُصِّف بينهما . إذا نشأ
التويمان من بيضة مخصبة واحدة فإنهما يكونان من نفس
الجنس أى ذكرين أو أنثيين . وهما غالباً ما يتشابهان إلى
حد بعيد ، حتى ليصعب في كثير من الأحوال التمييز بينهما
حتى على معارفهما والمقربين إليهما . ومن الغريب أن هذا
التشابه أو إن شئت فقل هذا التماثل يشمل صفاتهما العقلية .
وإذا باعدنا بين هذين التوأمين بعد ميلادهما ، ونشأنا كلا
منهما في بيئة تختلف عن بيئة الآخر . فإن اختلاف البيئة
والوسط الذى عاش فيه كل منهما لا يؤثر كثيراً ولعله لا يمكن
أن يمحو تشابه المولد ، كما أن تشابه البيئة لا يمكن أن يمحو
اختلاف المولد . فإن المشاهد أنك إذا ربيت عدداً من الأطفال
في مكان واحد ، وجعلت ظروفهم الاجتماعية واحدة ،
بل وأشربتهم تعاليم واحدة من حيث الثقافة ، فإنك بذلك
لن تستطيع أن تمحو الفوارق العديدة والصفات المتباينة التى

حلها كل منهم من أبويه .

والخلاصة أن الصفات العقلية ، وخاصة ما تعلق منها بالمقدرة والكفاية الشخصية ، إنما هي صفات مورثة ؛ ولعل من الخير أن نقول إن ما يورث إنما هو الاستعداد النبوغى أو الكفائى ، إذ أن المراتة والبيئة والتثقيف والتوجيه وما إليها من أسباب لها أكبر الأثر على إظهار النبوغ الموروث ، كما أنها قد يكون لها أكبر الأثر على قبره وطمره . وعلى ذلك يمكن أن نقول إن ما قد يكونه المرء إنما هو مقرر بحكم الوراثة ، ولكنما هو كائن فعلا قد تأثر بالبيئة والتعليم .

فالشخص المتوسط ، أى ذو الحظ المتوسط من الذكاء والكفاية ، ورثهما عن ذويه ، ولكنه وجه توجيهاً صالحاً ، وربى فى مهاد صالحة ، وثقف التثقيف المناسب لمواهبه ومؤهلاته ، يكون أنفع الجماعة من شخص آخر موهوب ورث عن ذويه ذكاء نادراً ، ونبوغاً عظيماً ، ولكنه لم تهبأ له الفرصة المناسبة ولم يوجه التوجيه الصالح . ولكن الثانى يعتبر من جهة الوراثة والسلالة أباً أنفع وأصلح من الأول ، لأنه سينسل أطفالا أذكيا موهوبين ، وليس من

حسن السياسة أن نزيد في أهمية الوراثة في شئون الإنسان ؛ وذلك لسبب يسير جداً ، هو أن معلوماتنا عن الوراثة في الإنسان ما تزال أولية تحتاج إلى كثير من التجارب قبل أن نستطيع تطبيقها لتحسين السلالة الإنسانية أو الجنس البشرى وما لا شك فيه أن البيئة ليست العامل الأساسى لتقرير صفات الأفراد أو الجماعة أو الجنس ، فإن البيئة ماهى إلا أحد العوامل التى تؤثر على صفات الجنس البشرى . ولقد أصبح من المقرر أن كل الجهود التى تبذل لتحسين المجموعات البشرية ، وترقية أحوالها الاجتماعية يجب أن تشمل إدخال التحسينات على أساليب التربية والتعليم ، ونظم الحياة الاجتماعية الراقية وذلك إلى جانب تحسين السلالة نفسها ، وبالتالي تطعيمها وتلقيحها بسلالات راقية . وقد تطورت هذه الفكرة إلى أن أصبحت علماً تطبيقياً قائماً بذاته ، الغرض منه تطبيق حقائق علم الوراثة لترقية الجنس البشرى .

وفى خلال القرن الماضى ، لوحظ أن الأمم المتقدمة قد تزايد عدد سكانها بنسبة كبيرة ؛ وقد ثبت أن هذه الزيادة ليست مطلقة بل إنها تفاضلية ، فهى أقل ما تكون عند

سكان المناطق الذين يعتبرون من جهة التقدم والرقى فى القمة ؛ ثم إنهم كذلك فى النروة من جهة الذكاء والعبقريّة . أما أكثر الزيادة فى السكان فكانت فى المناطق ذات الطبقات المتوسطة ذكاء وكفاية ورقياً . ومن الطبقة الأولى نشأ كثير من الزعماء والقادة وذوى المكانة والنفوذ الأدبى والاجتماعى ، على حين نشأ من الطبقة الثانية كثير من المجرمين ونزلاء المستشفيات والسجون والإصلاحات لقصور إدراكهم . ويعزى هذا التباين فى الصفات إلى تباين المولد ، والملاحظ دائماً أن أفراد الطبقات الاجتماعية الدنيا هم الأوفر إنسالا ، والأكثر أولاداً .

وما لا شك فيه أن من أسباب هذا التباين ، ما يمكن أن يسمى بالأسباب الاقتصادية ، فالشخص الطموح ذو الأطماع والآمال العريضة ، الذى يطمح دائماً إلى معيشة أرقى من معيشته ، ومستوى أعلى من مستواه ، لا يريد أن يزيد كثيراً فى عدد أفراد عائلته ، لأنه يريد أن يهبط لهم حياة سعيدة راقية ، إنه يريد أن ينجبهم معيشة ضئيلة . وما يؤسف له أن تحديد النسل يحدث عادة فى الطبقات التى لا ضير من

زيادة النسل فيها ؛ وكم يكون نافعا للأمة لو أن هذا التحديد جرى على عديمي الأهلية من السكان ؛ أو لو أن هؤلاء جرى عليهم الانتخاب والفحص الطبي والعلمي قبل أن ينسلوا للأمة ضعفاء تعساء ، فيزيدها وهنا على وهن ، أو لو أن هؤلاء زيدت العناية بهم ، وتولت أمورهم الجمعيات الخيرية والصحية ، ورفعت مستواهم الاجتماعي ، وزادت في دخلهم القومي ، ومهدت لهم السبيل لكي يحيا حياة كريمة عزيزة ، فينسلوا للأمة جيلا عزيزا كريما ، لا يقيم على ضيم ولا يرضى بالدون من العيش . لقد لجأت بعض الممالك إلى سن التشريعات اللازمة لمنع المعتوهين والمعتلين بالوراثة من أن ينسلوا ، ووقف هذه العملية على الأصحاء الأقوياء ، ذوى البنى السليمة والعقول السليمة . ويعتقد بعض علماء الوراثة أن صفة العته والضعف العقلي ، إنما هي صفة مسودة متنحية بالنسبة للحالة العقلية الطبيعية ، حتى يمكن أن يقال إن كثيرين ممن يبدوون في حالة طبيعية معقولة يحملون عوامل وراثية متنحية للضعف العقلي ، وهؤلاء هم بطبيعة الحال أكثر بكثير ممن تبدو عليهم هذه الحالة . فإذا تزوج هؤلاء الناقلون أو الحاملون لهذه

العوامل المنتجة بآخرين لا يحملون هذه العوامل ، ففى الغالب لا تظهر هذه الصفة فى أولادهم ، لأنها كما قلنا صفة منتجة ، أما إذا تزوجوا بآخرين من أمثالهم ممن يحملون هذه العوامل فستظهر هذه الصفة حتماً فيما ينسلون من أولاد وما ينتج هؤلاء من أحفاد . ومن الغريب أن الفحص العلمى قد أثبت أن كثيرين من نزلاء الإصلاحيات والسجون إنما هم من ضعاف العقول ؛ صحيح أنه ليس حتماً أن يكونوا جميعاً كذلك ، ولكن أثبت الواقع أن نسبة كبيرة منهم نشأت من هؤلاء .

وما المتشردون والمتسولون وأشباههم ممن تزدحم بهم الطرقات والقرى والديساكر ؛ والمدن والحواضر ، ممن يعيشون عالة على المجتمع ، أو تعلم مؤسسات البر ، لأنهم عاجزون عن كسب قوتهم ، أو لأنهم ألقوا هذا النوع من المعيشة فليست لديهم رغبة فى العمل ، وليست لديهم القدرة على أداء عمل ، أو لعلهم وقد نضب ماء الحياء من وجوههم أصبحوا يعتقدون أن من واجب الدولة عولم مع ما قد يتمتعون به من صحة وعافية ، هؤلاء وأضرابهم ما هم فى الواقع إلا أثر من آثار العوامل الوراثية السيئة ، التى انحدرت إليهم من أصلاب آباء وأجداد منوا

بمثل هذه العوامل قديماً . ولا شك في أن رفع مستوى المعيشة الاجتماعية وتنظيم الإحسان ، حتى لا يصل إلا إلى المستحقين من العجزة ، وغير القادرين على الكسب ، كذلك رفع المستوى الصحى للشعب وفرض رقابة صحية على راغبي الزواج ، لا شك أن من شأن ذلك كله أن ينقص عدد هؤلاء إلى حد كبير ، ولكن ستبقى في النهاية بقية ليس من السهل التخلص منها ، تلك التى واتاها العته والخلل والضعف والهوان وراثياً . وكم يؤدى العلم من خدمات للإنسانية ، لو أنه استطاع علاج هؤلاء ، حتى لا يتعدى أثرهم أفرادهم ، وحتى لا ينقلون آفاتهم إلى ذرائعهم من بعدهم .

ولو أننا نظرنا إلى المسألة من الوجهة الاقتصادية البحتة ، لهالنا منطق الأرقام ، ولعرفنا أية خسارة تصيب الأمة بسبب هذا الجيش من المتسولين والمرترقة ؛ ولعلنا لا نسقط من حسابنا ما تتكلفه الدولة من باهظ الأموال في حماية الجمهور منهم ، ثم في مطاردتهم ، ثم فى إيواء من يستحق منهم الحماية والعون ؛ وتطرّد الزيادة فى هذه التكاليف ، تبعاً لما يصرف لترقية أسلوب المعيشة لهؤلاء التمساء ، ثم إنهم يزيدون سنة

بعد أخرى بما ينسلون من أشباههم ، حتى أنهم يكونون نسبة عالية من عدد السكان ، وذلك لأن المشاهد أن ضعاف العقول ينتجون نسلا ضعيف العقل ، فالأزواج المعتوهون المخايل ، ينسلون نظراءهم من المخايل ، كذلك غالباً ما ينتج الصم البكم أشباههم من الصم البكم ، ومن الغريب أن هؤلاء هم في أغلب الأمر أكثر سلا وأوفر إنتاجاً من الزيجات الطبيعية، ويقدر البعض إنتاجهم بأنه ضعف إنتاج الأصحاء ، ومن ذلك نئين مدى لخطر الذى يستشرى في جسم أمة أصيبت بعدد وافر من هؤلاء يتزايد عددهم على مر الأيام ، فيكونون كالسوس ينخر جسمها ، ويهد بنائها حتى ينخر من القواعد .

ولعلنا نستطيع أن نتصور أى خير يصيب الإنسانية ، وأى فضل يعم المجموعة البشرية لو أننا استطعنا تحديد هؤلاء الذين يورثون أبناءهم هذه الصفات . ثم استطعنا أن نستبعدهم ، بأن نمنع تزاوجهم إلى أن يتم انقراضهم ، لا شك أنها مهمة شاقة عسيرة ، يعترض تنفيذها على الوجه الأكمل صعاب ليس إلى تذليلها من سبيل . إننا نحتاج قبل كل شيء إلى

دعاوة عريضة نهي الأذهان ، وتعد العقول لقبول هذا القيد ، وليقتنع الجمهور بوجاهة الفكرة وفوائدها . ثم إن ذلك يحتاج إلى دراسة الوراثة في الإنسان دراسة مستفيضة عميقة من جهابذة أعلام يتوافرون عليها ، يشتون ما يقولون بالتجارب والرسوم ، ويؤيدون ما يطلبون تنفيذه بالاحصاءات والأرقام حتى يستطيع الشارع أن يعتمد على أسانيد قوية ، قبل أن يشرع ما يحدد من حرية لإنسان ما ، وما يؤسف له أن العلم لم يكشف بعد بكل ما يتعلق بالوراثة في الإنسان ؛ وذلك لأن التجريب عليه ليس من السهولة بالقدر الذي نتصوره ، كما هي الحال في التجريب على الحيوان والنبات ، علاوة على طول الوقت الذي لا بد من مروره قبل الوصول إلى نتيجة يطمئن إليها العلم ، إلى غير ذلك من العوامل التي سبقت الإشارة إليها ؛ كما أنه من المسلم به أننا لا نستطيع بتر هؤلاء المنبوذين من جسم الأمة ، كما هي الحال في النبات أو الحيوان ؛ فإن العلم ليسغ التخلص من النباتات والحيوانات غير المرغوب فيها ، بوسائل مهما تكن عنيفة ، فإننا نجد ما يبررها ؛ فالحبوب المصابة تتلف والحيوانات المصابة تعدم ؛

ولكننا لا نستطيع تطبيق ذلك على الإنسان مهما يكن الحافز ،
ومهما تكن الدوافع والمبررات ، فقد كرم الله الإنسان على
سائر المخلوقات ، وحرم قتل النفس البشرية إلا بالحق .
ولكن الموت الطبيعي سيحقق التخلص من هؤلاء المتبوزين
أنفسهم ، ولكن على الأمة أن تمنعهم بحكم القانون من أن
يتزوجوا ومن أن ينسلوا ، فإن ذلك من واجب كل أمة
تحترم نفسها وتتنظر بعين الغيب إلى المستقبل ، فتسعد أبناءها
بدل أن ترديهم في مهاوى المرض والضعف والفساد ؛ فإننا
إذا منعنا هؤلاء من الزواج والإنسال ، فكأنما نخلص الأمة
من مرضى مهازيل مخايل سينتجونهم ، وبترواج أفراد هذا
الجيل تتعاقب الأجيال المريضة ويزداد عددها بتعاقب
الأجيال . فنع الزواج بين هؤلاء ، هو العلاج الوحيد البعيد
عن العنف ، وقد تفلح الدعاوة في الإقناع به ، كما أنه
سيحقق ما نصبو إليه الأمة من إنتاج الأبناء الأصحاء الأقوياء
الذين تشرف بهم الأمة وتقوى .

على أن مما يزيد الأمر صعوبة وتعقيداً ، أن الدين يشرع
لهم مثل هذا التشريع هم في الغالب أبعد الناس عن الاقتناع

بفوائده ، وهم في الوقت نفسه أبعد الناس عن الامتثال لحكم مثل هذه القوانين . وإننا لنعلم أن حكم الدين والقانون لم يستطيعا منع الناس من الاتصال غير الشرعى ، ومن إنجاب أولاد غير شرعيين ، غالباً ما يكونون خطراً على المجتمع ؛ نعم لن يستطيع القانون أن يمتنع هذه الآفة من القرار ؛ فالأولاد غير الشرعيين موجودون في كل أمة مهما بلغت درجة رقى أفرادها ، ومهما بلغ احترام أهلها للقانون ؛ وأنهم من باب أولى منتشرون في الطبقات أو الأفراد الذين يرى العلم أن من مصلحة الأمة انقراضهم . وقد فكر كثير من المصلحين في طريقة حاسمة تيسر الوصول إلى النتيجة المرجوة ، تلك هي إجراء عمليات جراحية في الأعضاء التناسلية كاستئصالها أو بعض أجزائها ، أو تعقيم هؤلاء حتى لا ينسلون ؛ وقد نفذت طريقة التعقيم في بعض الممالك ؛ مع ما فيها من حدّ لحرية الأفراد ، وتداخل في أخص شئون الإنسان . وقد كان تنفيذ القانون صعباً في بعض الحالات ، لا لسبب إلا أن الأطباء لم يقتنعوا بأنها حالات تستوجب التعقيم .

وهناك طريقة يمكن أن تهدف إلى تحقيق النتيجة المرجوة ،
وهي عزل هؤلاء الأفراد في مستعمرات ومعاهد خاصة ،
كذلك فصل كل جنس عن الآخر . فإذا نظمت هذه
المستعمرات ، ووضع في كل مستعمرة عدد مناسب من
هؤلاء المعتمدين أو المرضى المنبوذين ، وأعد لهؤلاء الأشخاص
ما يناسبهم من عمل يتكسبون به كالزراعة أو بعض الحرف ،
وبذلك يساهمون في الإنتاج الاقتصادي للأمة ، وبالتالي
يساهمون في إسعاد الأمة وزيادة خيراتها ، ولما كانوا من جنس
واحد (رجالا فقط أو نساء فقط) فإنهم بطبيعة الحال لن
ينسلوا ، أى لن ينتجوا أجيالا من الضعاف المخاييل أو المرضى
أشباههم من بعدهم . على أن الثابت أن مثل هذه المستعمرات
أو المصحات ، لا يمكن أن تحوى أكثر من عشرة في المائة
ممن ينبغي أن يدخلوها ويعتزلوا فيها من السكان ، وأن محاولة
عزل جميع من يستحقون العزل من الجحسين في مستعمرات
مهيئة بكل المستلزمات والوسائل لما يتكلف باهظ التكاليف
بما قد يكون فوق الطاقة أو لا تحتمله الحالة المالية
للأمة .

على أنه إذا نجحت طريقة العزل في مستعمرات خاصة ،
فلإننا بطبيعة الحال لن نرسل إلى هذه المستعمرات إلا بمن
تبدى عليه مظاهر الأمراض والصفات الوراثية التي نريد
استئصالها ، فكيف السبيل إلى تعرف هؤلاء الذين لا تبدو
عليهم هذه الأعراض ، لأنهم ناقلوها ، لأن هذه الأمراض
وتلك الصفات قد اتخذت منهم جسراً تعبر عليه إلى الأجيال
التالية ، دون أن يتبدى أثرها فيهم ، كيف السبيل إلى معرفة
هؤلاء ، وكيف نمنع خطرهم ، إنهم يحملون هذه الصفات
غير المرغوبة ولكنها متنحية ، لا تلبث أن تظهر في مدى
جيل أو جيلين . لقد قدر بعض العلماء أن عشرة في المائة من
السكان في أمة يحملون هذه الصفات المتنحية أو المسودة غير
المرغوب فيها .

من ذلك يتضح أنه لا بد أن يمضي وقت طويل قبل أن
يتحقق ما نهدف إليه، وذلك إذا اتبعنا الطريقة التي أسلفنا
شرحها وجعلنا الدقة المتناهية رائدنا في تنفيذها ، فلإننا إذا
لم نستعمل الدقة والأمانة في التنفيذ فلا فائدة ترجى من هنا

الإجراء . إن الوسائل العلمية لا تعرف الوساطة ولا الاستثناء ، وبذلك ، وبذلك وحده يتحقق ما نصبو إليه من خير الوطن وإسعاد بنيه ؛ بانتاج أجيال صحيحة سليمة ، بعد أن استبعدنا كل من نخشى توالدهم . فطريقة العزل هي أخف الطرق ولعلها تكون أكثرها رافة ورحمة وإنسانية ، فلا تزهق نفوس . ولا تذلل أخرى ولا يعقم غيرها ، ولكننا يؤتى بهم في معزل خاص ، يؤدون فيه عملاً ما إلى أن يقضى الله فيهم أمراً كان مفعولاً . وإنها لتضحية منهم — ما في ذلك من شك ولا ريب — ولكن لعلهم يقبلون عليها في هدوء ورضا إذا تيقنوا أن في ذلك إسعاداً لأنهم وبنى وطنهم . وعلى الدولة بطبيعة الحال أن تتكفل بنفقات هذه المصحات ... وإنها لباهظة ... ولكنها عظيمة النتائج ، أكيدة المفعول ، محققة النفع .

وإذا تيقظ الضمير في الأمة ، وعرف أهلها أثر هذه التربية الوراثية ونتيجة توارث هذه الصفات الانحلالية ، فما لا شك فيه أننا سنجد أن من يأنس في نفسه مثل هذه الصفات سينأى بنفسه عن الزواج أو عن الإنسال ،

دون حاجة إلى قانون أو جراحة أو عزل . وتلك مرتبة خلقية
عالية تشرف صاحبها . ومن حقهم على الدولة أن تكافئهم
وأن تمنحهم المعاشات المحزية جزاء إخلاصهم لأمنهم
وفائهم لوطنهم .

الإنسان الممتاز

تبقى بعد ذلك مشكلة لا بد من حلها ، تلك ما سبق أن أشرنا إليه من أن الموهوبين ذوي الصفات الممتازة غالباً ما يكون معدل إنتاجهم وإنسالمهم ضعيفاً ، إذ أن الثابت أن معدل إنتاج هؤلاء يقل كثيراً عن متوسط إنتاج غالبية السكان بل إن هؤلاء مع الأسف كثيراً ما تنقضى أعمارهم دون أن يتركوا للعالم عقباً من بعدهم ، أو لعلهم إن فعلوا فقد تكون القرصة ضعيفة أن يظهر بين هذه القلة الناتجة من يشبه هؤلاء الآباء النابيين الممتازين . وينبغي ألا يفهم من ذلك أن ثمة علاقة تربط بين الخصب والنبوغ أو التفوق ؛ ويبدو أن هذه المشكلة عسيرة الحل ، بل إنها لأعقد من ذنب الضب كما يقولون ؛ فقد يكون من السهل أن نحد من إنتاج الضعاف الخائيل أو أن نمنعهم من الزواج والتوالد بالتشريع أو العزل ، ولكن من الصعب أن نحمل أفراداً أو جماعات خاصة على

أن تزيد معدل إنتاجها . وقد ظهرت مقترحات مختلفة في قرات متباينة ، كان الغرض منها الزيادة في نسل هؤلاء الممتازين ، فمن ذلك أن يعفى صاحب العائلة الكبيرة من بعض الضرائب ، أو أن يمنح الشخص المذكور علاوة أو منحة مائة عن كل طفل يولد له وأن يعطى الذين ينسلون عدداً كبيراً من الأبناء مكافأة مالية سخية ، أو أن يرتب لهم معاش مناسب . كذلك تفرض المكوس على الأصحاء الأقوياء القادرين الذين يبقون عزاباً . ومع ما في هذه الاقتراحات وأشباهها من ترغيب وتشجيع ، فإنك لا تستطيع أن تحمل قوى الصفات الوراثية الممتازة على التزاوج والإنتاج .

لا مرأى في أن حل هذه المشاكل إنما يأتي مع الزمن عندما ترقى مدارك الأفراد ، ويرتفع مستواهم الاجتماعى والخلقى والصحى ، فيقبلون عن طوعية واختيار على أداء ما فيه نفع أوطانهم ، فيزيد الصالحون الموهوبون في الإنسال ، ويضرب المصابون عن إصابة أوطانهم صحياً واقتصادياً وعقلياً وخلقياً ، بانتاج أجيال من أشباههم . إنهم بذلك يضربون مثلاً عالياً في التضحية ونكران الذات في سبيل رفعة الوطن وعلو شأنه

وما من شك في أن إدراك هذه المتزلة يتطلب مستوى خلقياً رفيعاً من الشعب ، ويضحي كل فرد بشيء من سعادته في سبيل وطنه ، إذ أن التضحية مطلوبة من السليم والمعتل على السواء ، فيضحي الأول بأن ينتج كثيراً من الأولاد . . . يضحي بصحته وراحته ومجهوده في سبيل تربيتهم وإسعادهم ، وعلى الدولة أن تعينه على ذلك بمختلف الوسائل . وعلى الثاني أن يمتنع عن الإنسال . ولا مرأى في أن مثل هذا الضمير الحى هو بسبيل التيقظ والتنبه عند بعض الأمم ، ولا شك أن الرقى العقلى وتعميم الثقافة العالية الرفيعة سيعمل على تيقظه وإحيائه لدى الشعوب . أخلق بنا أن نتمسك بأهداب هذا الأمل ، أمل الضمير الحى لدى الأفراد الذين يضحون بلذاتهم في سبيل إسعاد أمهم . أما أن نتمسك بأن العلم سيخلق لنا الإنسان الكامل أو ما أسماه نيتشه « السبرمان » بإجراء تجارب كتلك التى نجريها على الحيوان والنبات ، فذلك ضرب من الوهم أو لعله حلم ليس من السهل تحقيقه .

ولنما نتحسّن السلالات البشرية ، عندما نستطيع الإنسانية أن تحدد السلالات الممتازة ، وأن تهيب اليثة

الملائمة لإنسانها والإكثار من أفرادها ، وعند ما توقع أن
 من واجبها مراقبة مدارج تطوراتها وارتقاؤها . وعندئذ يوقن
 الرجال والنساء أنهم إنما يتراوون لينجبوا أبناء خيراً منهم ،
 وأقدر منهم على إسعاد الإنسانية وإسعاد أنفسهم .
 « الذي أحسن كل شيء خلقه ، وبدأ خلق الإنسان
 من طين . ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين . ثم سواه
 ونفخ فيه من روحه ، وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة ،
 قليلاً ما تشكرون » . صدق الله العظيم .

المراجع

- ١ - كرو وراثۃ الحيوان
- ٢ - كرو الوراثة
- ٣ - جيتس الوراثة
- ٤ - هالدين وهكسلى الوراثة فى الانسان
- ٥ - هالدين وهكسلى حياة الحيوان
- ٦ - بانيت المتدلية
- ٧ - رسالة العلم

فهرس الكتاب

صفحة

- ١ - تمهيد ٥
- ٢ - الخلية ٨
- ٣ - تجارب مندل ١٨
- ٤ - الصبغيات وانتقال الصفات الوراثية ٢٦
- ٥ - الوراثة والجنس ٤٠
- ٦ - التباين في الصفات . أثر المولد وأثر البيئة ٥٧
- ٧ - الوراثة وتربية الحيوان والنبات ٧٢
- ٨ - الوراثة في الإنسان ٩٢
- ٩ - الإنسان الممتاز ١٠٠
- ١٠ - المراجع ١١٥

65
711

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA



0606527


BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الاسكندرية